



جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي
كلية العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين



الظاهر المجرد والظاهر المراد في القرآن الكريم مفهومه وضوابطه

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر
في العلوم الإسلامية - تخصص: التفسير وعلوم القرآن

المشرف:

د. عبد القادر شكيمة

الطالب:

عبد الجليل لعمرات

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
.....	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	رئيسا
د. عبد القادر شكيمة	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	مشرفا ومقررا
.....	جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي	ممتحنا

السنة الجامعية: 1444-1445هـ/2022-2023م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

صدق الله العظيم

سورة التوبة (الأية: 105)

شكر وعرافان

الحمد لله الذي بتحميده يستفتح كل كتاب، وينعمته تتم الصالحات، وبفضله يخرجنا من ظلمات الوهم ويكرمنا بنور الفهم، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الشكر على توفيقه وامتنانه، ونشهد أن محمد عبده ورسوله ما اتصلت عين بنظر، وتزخرفت الأرض بمطر، وحب حاج واعتمر، فصلوات ربه وسلامه عليه، الذي علمنا شكر الله تعالى وحمده على منه وكرمه، اللهم وعلى آله وصحبه الأماجد الأبرار الصفوة الأكابر الأخيار .

إعمالا بسنة نبينا عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى

الأستاذ الفاضل : الدكتور " عبد القادر شكيمة "

على تفضله بالإشراف عليّ ومتابعته لهذا العمل عن كثب، وعلى ما قدمه ليمن عون وإثراء، فجزاك الله خير الجزاء.

ثم شاكرا أعضاء لجنة مناقشتي الذين أتشرف بمشاركتهم ومناقشتي وتقييمي لهذا البحث.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل أساتذتي ومعلمي في السنوات السابقة ما قبل الدخول

إلى أساتذة وموظفي وأعاون جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي.

وإلى كل من ساهم بمعلومة أو فكرة أو كلمة أو حرف أو شكل ومد لنا يد العون من قريب أو

بعيد

الإهداء

الحمد لله قد عمت فضائله *** على البرية إكرامٌ واحسانُ
ثم الصلاة على من كان أفضلهم *** قد جاءه الوحي للنجدين تبيانُ
والشكر أحمله للمقلتين هما *** منابع الحب هم للرأس تيجانُ
أما أساتذتي بالشكر أغمرهم *** دلائل العلم والأخلاق تزدانُ
أنتم بنيتم في أرواحنا همما *** فقه، ونحو، أحاديث وقرآنُ
أعنتمونا فأخجلتم تعاملنا *** وكان منكم جميل الطبع عنوانُ
رفقية الدرب لا أنسى مواقفها *** وفارس مع سعد الخير اخوانُ
واخوتي كلهم حتى صغارهم *** عند الشدائد مثل الطود اركانُ
والصحب أذكر لا انساهم أبدا *** محمد مع فتح الفتح ببيانُ
لو كان متسع في ذكركم لغدت *** أسماءكم كسيول الغيث طوفانُ
أهديكم الحب والتكريم في خجل *** خصالكم بحروف الشعر ديوانُ

عبد الجليل لعمرات

الملخص:

هذا البحث بعنوان: الظاهر المجرد والظاهر المراد في القرآن الكريم، مفهومه وضوابطه. وهو يعالج مفهوم الظاهر في القرآن الكريم بنوعيه المجرد والمراد. وبيان ضوابطه التي من خلالها يكون التعامل معه. وقد تمت الدراسة وفق خطة ارتكزت على ثلاث مباحث. مبحثان تناولوا الدراسة النظرية والتي جمع فيها مفهوم الظاهر لغة وفي الاصطلاحات الشرعية، والمبحث الثاني تناول الفرق بين الظاهر المجرد والظاهر المراد وضوابطهما، بحيث عرضت مفهوم كل واحد منهما في المطلب الأول في فرعين. وعرضت في المطلب الثاني أهمية معرفة الظاهر بنوعيه. ومن ثم عرضت في المطلب الثالث ضوابط التعامل مع الظاهر المجرد والمراد. جعلت المبحث الثالث لعرض نماذج مختلفة عن الظاهر بنوعيه بما تعلق بمحاور القرآن الكبرى: العقيدة، الاحكام، والقصص القرآني مع متعلقات النحو والبلاغة والالفاظ. وفي الأخير ختمت البحث بعرض النتائج التي توصلت اليها من خلال الاستقراء والتحليل والذي اعتمدته منهجا للدراسة في كل مباحثها.

الكلمات المفتاحية:

الظاهر المجرد، المراد، المفهوم، الضوابط.

The abstract:

This research titled the abstract apparent and the intended apparent in Holly Quran, and its concept and criterias. It treats the concept of the apparent's two typs. And showing its criterias that they should be dealt with. The research based on a plan that it focused on three chapters: the first one is about the lingual concept and in religion terms. The second is about the different between the two types of apparent in the first subsection. In addition I show the importance of knowing them. In the third subsection I mentioned the criterias of dealing with thses oncepts. In the third chapter I listed the examples of apparent types in the Holly Quran, related to the three principle aspects; faith, doctrine comments and Quranic stories followed by grammatical phenomena, phrasemaking and semantics through the induction and analyses method which covered all the study's chapters.

Key words:

abstract apparent , the intended apparent, concept, criterias,

المقدمة

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، حمدا كثيرا أن جعلنا مسلمين، وأنعم علينا بالتوحيد فدلنا عليه بالعلم الراسخ وطريق اليقين. نشهد أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له ولا معين، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله إلى عموم الثقلين. وانزل الكتاب بالحق الساطع وبلسان عربي مبين. جعله الله حجة المؤمنين، وطمس به أعين المشركين ورد به كيد المنافقين. وهدى به أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة و باطنة، فالحمد لله رب العالمين.

أما بعد

فقد أكرمني الله عزوجل بأن جعلني في خدمة كتابه العزيز من خلال ارتباطي بهذا الاختصاص الذي شرفنا الله به حيث جعلنا من دارسي القرآن الكريم وعلومه، ويا له من شرف، ثم توالى فضائله عزوجل علي حتى اقترح علي أستاذي المشرف جزاه الله خيرا هذا البحث، ليكون خاتمة المرحلة الدراسية و هو بعنوان: "الظاهر المجرد و الظاهر المراد في القرآن الكريم".

الدراسات السابقة:

لمفهوم الظاهر أهمية كبيرة في الدراسات الخاصة بعلوم الشريعة إجمالا، فلا ريب أنه قد تعرض للدراسة من جوانب مختلفة تطرق لها الباحثون كل في مجاله و منهم من تعرض له إجمالا.

و قد سبق لدراسة الظاهر بين أصول الفقه وعلوم القرآن الكريم الدكتور فهد بن مبارك الوهبي في كتابه "المسائل المشتركة بين علوم القرآن وأصول الفقه وأثرها في التفسير". كما تطرق عدد من الباحثين لدراسة مصطلح الظاهر وتعريفه ضمن أبحاثهم ومنهم:
1-الدكتورة ابتسام الجابري : "الحمل على الظاهر دراسة تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير الطبري" بحث منشور في مجله كليه الآداب 2009 ميلادي العدد 21 جامعه بنها.
2- الأستاذة هيفاء بنت مقعد العتيبي في بحث بعنوان "الحمل على الظاهر وأثره في التفسير دراسة النظرية تطبيقية " رسالة ماجستير بإشراف الدكتور محمد بن عبد الله الربيعه جامعه القصيم 2015.

3- مروان علي النقي، نايل ممدوح أبو زيد: "مصطلح الظاهر عند العلماء" مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية و الدراسات الإسلامية. و هو بحث تناول مفهوم الظاهر من مختلف الفنون العلمية المتعلقة بهذا المصطلح.

وقد تم تناول الموضوع من جوانب تحيط به من خلال المبنى و من مسافات قريبة تدرس مفهوم الظاهر البحث، و منها ما ارتبط بالموضوع من خلال المعنى رأسا. كما سبق وأسلفت

خطة البحث: لقد اعتمدت في خطة البحث على الجانبين النظري و التطبيقي، و تم تقسيم مادة البحث على ثلاثة مباحث جعلت المبحثان الأوليان للجانب النظري و المبحث الثالث للجانب التطبيقي . عرضت في المبحث الأول و من خلال مطلبين، المفهوم اللغوي لمصطلح الظاهر من خلال المعاجم اللغوية واعتمدت المعجم المحيط لابن فارس حيث تطرقت لجزر الكلمة و أساسها و استعمالاتها في اللسان العربي بمختلف معانيها الواردة. وعرضت في المطلب الثاني مفهوم مصطلح الظاهر في العلوم المتعلقة بالعلوم الشرعية عموما والتفسير وعلوم القرآن خصوصا، مستعينا بما سبق من الدراسات. وأما المبحث الثاني فتناولت فيه الفرق في المفهومين المجرد والمراد مع الضوابط التي تحدد المعنى الصحيح لكل منهما مع ابراز الأهمية من معرفة حدود المفهومين وتطبيقاتهما. وأما المبحث الثالث فجعلته لعرض نماذج من القرآن الكريم الإشكالية المطروحة في البحث: طرحت في هذا البحث إشكالية قد تعتمد عليها دراسات مختلفة متعلقة بعلوم القرآن وهي: هل كل ظاهر ورد -مجردا كان او مرادا- في معاني القرآن هو مراد الله تعالى؟ وهل هناك ضوابط يضمن اتباعها تحقيق الوصول الى المعنى الذي أراد الله عزوجل؟ وهي إشكالية تطرح في ظل ما يسر الله به كتابه من تدبر وفهم وتلاوة حيث قال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: 22].

فهل تيسير الله فهم كتابه يخول لكل انسان أن يعتمد على فهمه فحسب، ويعتمد عليه في استنباط الاحكام واعمال فكره فيما ورد من أصول الاعتقاد والاحكام؟

الإجابة عن الإشكالية التي اثرناها في بحثي المتواضع.

منهج البحث: و اعتمدت في منهج البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، حيث تتبعت أولا مفهوم الظاهر بما حوته المعاجم و كذا مفهومه المتخصص عند كل فن . ثم تطرقت إلى مفهوم الظاهر بمتغيريه المجرد والمراد من خلال تتبع وروده في القرآن الكريم وما يمكن استخلاصه من

نتائج هذا الاستقصاء، مع بعض التصنيفات التي سنحت بها الدراسة التطبيقية، وتحليل ذلك الاستقصاء على ضوء ما تعلق به من فنون تناولت موضوع.

أهداف البحث: يهدف بحثنا الى إيضاح مفهوم الظاهر المجرد والظاهر المراد عند الباحثين، وكيفية التعامل معه من خلال الضوابط التي تحدد المعنى الصحيح والدقيق الذي يصل بنا الى ما لا يناقض أصول الاعتقاد، ولا يجنح عن المعنى اللغوي، ولا يؤثر في استنباط الاحكام المختلفة ولا يعارض الأخبار الصحيحة التي جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم.

أهمية البحث: قد يستشعر المطالع لعنوان البحث أهميته، لان الغرض منه الإحاطة بمفهوم الظاهر في مجال التفسير وعلوم القرآن، والذي يعتبر عصب لفهم كتاب الله تعالى، وكذا تطبيقاته من خلال فهم الظاهر المجرد ومقتضى وروده مع الظاهر المراد ومقتضاه. فتظهر الأهمية مرتبطة بأهمية الاحتراز من الوقوع في الزلل في فهم معاني الآيات وصرفها إلى ما لا تستقيم به العقيدة ولا تقوم به الأحكام ولا تثبت به قدم في دين الله.

حدود البحث: ان مجال بحثنا محدود في استقراء الظاهر المجرد والظاهر المراد ضمن القرآن الكريم ولا يتعداه الى غيره، إذ العنوان حدد مجال البحث مع بعض الروافد من الأحاديث التي لا يحسن الاستغناء عن ايرادها، و لكنها مما يوضح بعض المعاني ذات الاشكال المعنوي.

الصعوبات التي واجهت البحث: لكل بحث صعوبات تقف دون تحقيق الغاية المرجوة منه أو من جزء منه وهي تتنوع بحسب مكن الصعوبة التي قد تبدو لنا خلال العمل على البحث وقد واجهت بعضها وهي:

1- توسع الموضوع الذي يحتاج إلى دراسته من عدة جوانب؛ أصولية، تفسيرية، عقدية، نحوية وبلاغية وكلها ذات أهمية بالغة لا يستقيم إغفالها، ولا يسعها الزمان لبسطها جميعا.

2- صعوبة الترجيح بين أقوال المفسرين حال الخلاف في "مقتضى الظاهر" مما يتطلب سعة علم واسعة وإحاطة كبيرة بفنون كثيرة لا يتحمله مجال الدراسة ولا يسعه الجهد في هذه المرحلة الدراسية.

3- ارتباط مفهوم الظاهر المجرد والظاهر المراد بأنواع من الناس يختلف اطلاعهم وفهمهم وحتى تطبيقاتهم في فهم هذا الظاهر فليس الظاهر عند العامة مثله عند أهل التخصص. فما كان "ظاهرا مرادا" عند العالم هو "ظاهر مجرد" عند العامة والعكس، والبحث موجه لعموم الظاهر

ومن الأمثلة الجلية: معاني حروف الجر في التعبير القرآني والتي لا يفهمها العامة كما يفهمها أهل النحو والبلاغة، فمفهوم الظاهر هنا مختلف عند الطرفين.

الإشكالية المطروحة في البحث: طرحت في هذا البحث إشكالية قد تعتمد عليها دراسات مختلفة متعلقة بعلوم القرآن وهي: هل كل ظاهر ورد -مجردا كان او مرادا- في معاني القرآن هو مراد الله تعالى؟ وهل هناك ضوابط يضمن اتباعها تحقيق الوصول الى المعنى الذي أراده الله عزوجل؟ وهي إشكالية تطرح في ظل ما يسر الله به كتابه من تدبير وفهم وتلاوة حيث قال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: 22].

فهل تيسير الله فهم كتابه يخول لكل انسان أن يعتمد على فهمه فحسب، ويعتمد عليه في استنباط الاحكام واعمال فكره فيما ورد من أصول الاعتقاد والاحكام؟ وانطلاقا من هذه الإشكالية وبلاستعانة بحول الله وقوته سنعمد الى بحث هذا الموضوع من خلال طرح هذه الفرضية:

الفرضية التي يطرحها البحث: إن الله تعالى يسر كتابه لعباده، كونه مستودع الهدايات وشفاء لما في الصدور وبركة في النفس وإذا كانت هذه أوصافه، فلا ريب أن معانيه قريبة الفهم جلية وأن ظاهره لا غموض يعتريه خاصة وأنه نزل بلسان عربي مبين. لكن مراد الله من المعاني لا يوصل اليه الا من خلال الوحي المبين لهذا الكتاب وهو سنة النبي صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 44]. فقد شمل التبيان كل الناس و المؤمنون يحتاجون لتفاصيل الشريعة وتخصيص الجمل، وتقييد المطلق ومنه فالظاهر المجرد من القرآن واضح الدلالة، والظاهر المراد لا يعلمه إلا لأهل العلم ومن تعمق في دراسته .

المبحث الأول
مفهوم الظاهر في اللغة
والاصطلاحات الشرعية

المبحث الأول: مفهوم الظاهر في اللغة والاصطلاحات الشرعية.

إن وقوف العلماء على دلالات الألفاظ له أهميه بالغه وقد حرصوا على ذلك واعتنوا به عناية فائقة حتى صُنِّفت المعاجم اللغوية العامة والخاصة وافرد العلماء لكل فن من الفنون معاجم في اصطلاحات تلك الفنون حتى يسهل فهمها و التعامل معها في حيز البحث و الدراسة.

ومن المصطلحات التي اعتني بها مصطلح الظاهر الذي حظي بقسط وافر من الدراسة الدلالية عند علماء اللغة وأصول الفقه وأهل التفسير وبالرجوع إلى دلالة هذا المصطلح نجد أن أصوله اللغوية هي منطلق دلالاته المعرفية في اصطلاح الأصوليين والمفسرين. كما هو المشهور من حال المصطلحات التي نجد أن صلتها الظاهرة أو الخفية بين دلالاتها اللغوية والاصطلاحية لا تكاد تعرف الا بالتدقيق و طول النظر.

وعند المقارنة بين دلالة المصطلح الظاهر بين علماء الأصول والمفسرين وأهل اللغة نجد تباين موقف كل فريق منهم في استعمالهم له ومن هذا المنطلق جاءت أهمية التطرق للبحث في مصطلح الظاهر عند العلماء ومدلولاته التي نطمح ان تعطينا تصورا واضحا و جليا لاستخدامه خلال مباحث هاته الدراسة .

المطلب الأول: مفهوم الظاهر في معجم اللغة.

قال ابن فارس: " ظهر (الظاء والهاء والراء) أصل صحيح واحد يدل على قوة وبروز. من ذلك ظهر الشيء يظهر ظهورا فهو ظاهر، إذا انكشف وبرز. ولذلك سمي وقت الظهر والظهيرة، وهو أظهر أوقات النهار وأضوؤها. والأصل فيه كله ظهر الإنسان، وهو خلاف بطنه، وهو يجمع البروز والقوة. ويقال للركاب الظهر، لأن الذي يحمل منها الشيء ظهورها. ويقال رجل مظهر، أي شديد الظهر. ورجل ظهر: يشتكى ظهره.

ومن الباب: أظهرنا، إذا سرنا في وقت الظهر. ومنه: ظهرت على كذا، إذا اطلعت عليه.¹

1- أبو الحسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر)، ط: 1399هـ- 1979م، ج: 3/ 471.

والظهير: البعير القوي. والظهير: المعين، كأنه أسند ظهره إلى ظهره. والظهور: الغلبة. قال الله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: 14]. والظاهرة: العين الجاحظة. والظهار: قول الرجل لامرأته: أنت على كظهر أمي. وهي كلمة كانوا يقولونها، يريدون بها الفراق. وإنما اختصوا الظهر لمكان الركوب، وإلا فسائر أعضائها في التحريم كالظهر. والظهار من الريش: ما يظهر منه في الجناح. والظهري: كل شيء يجعله بظهر، أي تنساه، كأنك قد جعلته خلف ظهره، إعراضا عنه وتركاه له. قال الله سبحانه: {واتخذتموه وراءكم ظهريا} [هود: 92]. وقد جعل فلان حاجتي بظهر، إذا لم يقبل عليها، بل جعلها وراءه. وقال الفرزدق:

تميم بن بدر لا تكونن حاجتي *** بظهر فلا يخفى عليك جوابها

ومن الباب: هذا أمر ظاهر عنك عاره. أي زائل، كأنه إذا زال فقد صار وراء ظهره.

وقال أبو ذؤيب:

وعيرها الواشون أني أحبها *** وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

ويقولون: إن الظهر: متاع البيت. وأحسب هذه مستعارة من الظهر أيضا؛ لأن الإنسان يستظهر بها، أي يتقوى ويستعين على ما نابه. والظاهرة: أن ترد الإبل كل يوم نصف النهار. ويقولون: سلكننا الظهر: يريدون طريق البر، وذلك لظهوره وبروزه. ويقولون: جاء فلان في ظهرته وناهضته، أي قومه. وإنما سموا ظهره لأنه يتقوى بهم. وقريش الظواهر سموا بذلك لأنهم ينزلون ظاهر مكة. قال:

قريش البطاح لا قريش الظواهر

وأقران الظهر: الذين يجيئون من ورائك.

وحكى ابن دريد: "تظاهر القوم، إذا تدابروا، وكأنه من الأضداد" وهذا المعنى الذي ذكره ابن دريد صحيح؛ لأنه أراد أن كل واحد منهما أدبر عن صاحبه، وجعل ظهره إليه...¹

1 أبو الحسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر)، ط: 1399هـ-1979م، ج: 3/473.

المطلب الثاني: مفهوم الظاهر في الاصطلاحات الشرعية:

الفرع الأول: مصطلح الظاهر في علم النحو.

الكلام عند النحاة ينقسم إلى اسم وفعل وحرف. ويقسم النحويون الاسم إلى ظاهر ومضمر ومبهم. فالاسم الظاهر هو ما دل بظاهره وإعرابه على المعنى المراد به. والمضمر ما كني به عن الظاهر اختصاراً كقولنا ﴿أنا وأنت﴾. والمبهم مثل قولنا هذا وهذه.¹ وقال صاحب التحفة السننية بشرح المقدمة الآجرومية والاسم ثلاثة أقسام مظهر وهو ما دل على مسماه بلا قرينه كزيد، ومضمر وهو ما دل على مسماه بقرينه تكلم أو خطاب أو غيبة نحو ﴿أنا، هو، أنت﴾. ومبهم وهو ما خفي معناه مثل ﴿هذا والذي﴾.² ويتضح من هذا بان الاسم الظاهر عند النحاة قد استمد دلالاته من الأصل اللغوي لمادة ظهر.

الفرع الثاني: مصطلح الظاهر في علم البلاغة.

مصطلح الظاهر في علم البلاغة يندرج استعماله في باب الخروج عن مقتضى الظاهر وليس للظاهر هنا من تعريف خاص في علم البلاغة يمكن أن يعتمد. والخروج عن مقتضى الظاهر يراد به خروج الكلام في تكوينه وتركيبه عن الأصل الظاهر فيما يعتاد وضعه فيه. يقول القزويني في تعريفه للبلاغة أنها الكلام المطابق لمقتضى الحال مع فصاحته. وبالنظر في كلام القزويني فإن العدول عن مقتضى ظاهر الحال هو الخروج عن مقتضى الظاهر ومن أمثله إنزال العالم منزلة الجاهل.³

فمقتضى الحال هي أن يأتي الخطاب مناسباً لحال المخاطب به فإن كان في نفس المخاطب شك جاء الكلام مؤكداً. إما إذا جاء الخطاب مؤكداً، وليس في نفس المخاطب شك فهو للملحظ بلاغي كأن يكون لتأكيد الخبر وإظهار العناية فيه، ومن أمثله قول الله تعالى:

1 مرعي بن يوسف بن أحمد الكرمي، دليل الطالبين لكلام النحويين، (الكويت: دار المخطوطات والمكتبات الإسلامية، 1430 هـ - 2009م)، ص: 15.

2 محمد البقاعي، التحفة السننية بشرح المقدمة الآجرومية، (بيروت: دار الفكر، 1423هـ - 2002م)، ص: 11-12.

3 أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق: ماهر حبوش، وزملاؤه، (بيروت: دار الرسالة العالمية، 1436هـ - 2015م)، ط: 1: 41/1.

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ حَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَرَوُودُوا فَإِنَّ حَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ . [البقرة: 197] . فانه في غير القرآن الكريم يمكن أن يقال ﴿فيه﴾ بدلا من تكرار لفظ ﴿الحج﴾ ولكنه عدل من المضمرة إلى الظاهر لأجل التأكيد.

وقد ذكر الميداني في كتابه البلاغة العربية أنواع الخروج عن مقتضى الظاهر عند العرب وهي :

1- الالتفات: نحو قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا﴾ واستغفيري لِدُنْيَاكَ إِنَّكَ كُنْتَ مِنْ **الْحَاطِطِينَ** [يوسف: 29]

2- أسلوب الحكيم نحو: قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر:] يعني بالأبتر: الأقل والأذل المنقطع دابره، الذي لا عقب له. واختلف أهل التأويل في المعنى بذلك، فقال بعضهم: عني به العاص بن وائل السهمي.¹

3- الإضمار مقام الإظهار والإظهار في مقام الإضمار .

4- التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي .

5- التغليب .

6- وضع الخبر موضع الإنشاء ووضع الإنشاء موضع الخبر .

7- الانتقال من الماضي إلى المضارع وبالعكس.

8- تجاهل العارف.

9- القلب.²

أن المقصود هنا بيان الدلالة مصطلح الظاهر في علم البلاغة و أما تفصيل الكلام عن مقتضى الظاهر ، هو الخروج عن مقتضى الظاهر فمحل كتب البلاغة.

الفرع الثالث: مصطلح الظاهر عند علماء أصول الفقه.

مصطلح "الظاهر" في العلوم الشرعية ، قد يكون أكثر ارتباطا بأصول الفقه من غيره ،

حيث أن من ركائز علم أصول الفقه مبحث دلالات الألفاظ و بيان حقيقتها اللغوية و

1 محمد بن جرير الطبري،(ت:310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، ط:1، 467/8 .

2عبد الرحمان بن حسن حبنكة الميداني، (ت:1978)، البلاغة العربية، (دمشق: دار القلم، 1416هـ-1996م):1/1.

الشرعية و علاقتها بالأحكام المستنبطة من القواعد الكلية في هذا العلم الشريف. فالظاهر في علم أصول الفقه هو مصطلح بين مصطلحين آخرين : "النص و التأويل" ؛ فما عني بذاته حكما راجحا لا ينازعه فيه مرجوح و لا يتبادر في المعنى غيره و هو صريح الدلالة سمي عند الأصوليون نصا.¹

و ما كان يحمل في معناه معنيان أحدهما راجح و الآخر مرجوح مع عدم تعارض كليهما إلا أن احدهما أظهر من غيره و لا يصرف عنه إلى المرجوح إلا بقريضة أو دلالة فهذا هو الظاهر عند علماء أصول الفقه ، و له اعتبار كبير في علم التفسير من خلال المجمل و المبين و الخاص و العام و المطلق و المقيد بما تتعرض له آيات الذكر الحكيم من الأحكام و الأخبار. وقد يكون مجردا من القريضة فيكون معناه الظاهر لأول نظر فيه هو المعبر من المعنى أو الحكم ، و قد يكون مرادا من خلال قريضة صارفة تصرفه الى معنا متبادر من اللفظ يحتمله و حكم شرعي يقره.

و من الأمثلة : قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف: 29]. فلفظ مسجد و التي سبقت بكلمة كل تفيد العموم، و هو الظاهر منها و لكن الله أمر النبي صلى الله عليه و سلم ألا يقوم بمسجد الضرار . و هي قريضة صارفة مخصصة لهذا المسجد ألا يقوم فيه النبي صلى الله عليه و سلم و ألا يقيم فيه صلاة. قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ 107 لَا تَتَّم فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُتِيَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ . [التوبة: 107-108] .

الفرع الرابع: مصطلح الظاهر عند علماء التفسير:

أما مصطلح الظاهر في علم التفسير وهو محل الدراسة في بحثنا هذا فالمقصود به ما تبادر من المعنى التي تضمنته الآية أو الكلمة القرآنية والتي سواء كان مقصودا بها حقيقة ما

¹ عبد الرحمان بن حسن حبنكة الميداني، المرجع السابق، 1/1.

تبادر للذهن أول وهلة، وهو المجرد فيفهم من خلال اللفظة بالنظر إلى أصلها اللغوي وجذرها أو ما يدل عليه السياق ولا يحتاج الناظر فيها إلى جهد في البحث عن معناها.

ومن الظاهر ما يكون محتملا للمعنى المرجوح، على غير المجرد وهو ما يحتاج واسع النظر وسعة في الاطلاع، وثباتا في العقيدة ورسوخها مع تمكن من ناصية اللغة نحوا وبلاغة، وعلم بأسباب النزول، وأصول الفقه، فلا يجنح للمعاني المخلة بها حتى لا يصرفها عن مراد الله منها وألا يقع في القول عن الله بغير علم.

إن الظاهر المجرد الذي يستقر معناه في النفس دون معالجة بالبحث والتدقيق والتقلب في المعاني المتعددة للكلمة موجود في القرءان العظيم بشكل واسع، ويؤدي صرفه عن ظاهره إلى غلط كبير وربما أسقط صاحبه في غياهب الضلال والظلام، مما قد يؤدي إلى كفره إن قدح في نفسه انه على اعتقاد ما رمى به من معان قد يسعها اللفظ ولكن لا يحتملها بالمعنى الذي صرفها له. ومن أهم هذه الأحوال القول في صفات الله عزوجل وأسمائه الحسنی وذاته العلية بتعطيلها أو تأويلها أو صرفها عن ظاهرها المجرد بالتأويل والتشبيه أو التعطيل وهي من خوارم العقيدة وفسادها.

و من أمثلة ذلك قوله عزوجل: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَاتُ بَيْنَهُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة: 64].

في الآية ظاهر مجرد وظاهر مراد، فاليد هي ظاهر مجرد نثبتها لله عزوجل اليد ولكن من غير تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل وهي من أسس عقيدة أهل السنة أن نثبت لله ما أثبتته لنفسه فقد قال بعدها. ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ... ﴾ ، و أما صرفها عن ظاهرها المجرد بالتأويل و غير ذلك فهو مما لا يستقيم لا عقلا و لا نقلا. و أما الظاهر المراد فقوله مغلولة فلا يقصدون أنها مقطوعة بل يريدون معنى البخل. جاء في تفسير ال وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [المائدة: 64].

قال: لا يعنون بذلك أن يد الله موثقة، ولكن يقولون: بخيل يعني أمسك ما عنده بخلا
تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.¹

1 محمد بن جرير الطبري، (ت: 310 هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، ط: 1، ج: 10، ص: 450، (رقم الحديث: 12242).

المبحث الثاني

بين الظاهر المجرد والظاهر

المراد في القرآن الكريم

وضوابطهما

المبحث الثاني: بين الظاهر المجرد والظاهر المراد في القرآن الكريم وضوابطهما:

ان الوقوف على دلالة الظاهر ومعرفة مفهومه من خلال اللغة والاصطلاحات الشرعية وخاصة ما تعلق منها بعلم التفسير الذي له صلة وثيقة بهذا المصطلح يبعث فينا الرغبة للغوص أكثر في مفهوم هذا المصطلح من خلال علم التفسير وفهم ما حوت آيات الكتاب العزيز من مسائل مختلفة كالعقيدة والاحكام والقصص. فما هو مفهوم الظاهر المجرد و الظاهر المراد في القرآن الكريم؟

المطلب الأول: مفهوم الظاهر المجرد والظاهر المراد في القرآن الكريم:

لا شك أن الناس في فهم كلام الله تعالى مختلفون متفاوتون: فمنهم من رزقه الله الفهم لكلامه، وحسن الإدراك لمعاني آياته؛ فهذا على خير عظيم، فإن أضاف إلى ذلك أن يُعَلِّمه مَنْ لا يَعَلِّمه؛ فهذا بأسنى المنازل وأرفعها؛ قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»¹.

وصنف لا علم له بمعاني كلام الله؛ وهذا أحد ثلاثة رجال: رجل يطلب العلم من مظانّه، ويجالس أهله، ويقتبس من نور العلم ومشكاة الفهم، فذلك متعلِّمٌ على سبيل النجاة، لاحقٌ - إن شاء الله- بأهل الخير ما تبع طريقهم، وانتهج سبيلهم واقتفى أثرهم. ورجل لا شغل له بمعاني القرآن، ولا همّة له في طلبها، قد رضي من الغنيمة بأجر التلاوة وتحصيل الثواب؛ فذلك حظُّه من كتاب الله.

وشرُّ الثلاثة رجل يخبط في معاني القرآن على غير هدى، ويتكلم في كتاب الله بغير بيّنة؛ فذلك الكذب على الله، وليس لمقترفه من عاقبة إلا الضلال في نفسه، والإضلال لعباد الله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: 18].

1 - محمد بن إسماعيل البخاري، (ت: 256هـ)، الجامع الصحيح المختصر، ط: 3، ج: 4، ص: 1919، (رقم الحديث: 4740).

وليس يسلم من هذه الأصناف كلها إلا رجلٌ تكلم بعلمٍ أو سكت بورعٍ ، وهذا واضح لا لبس فيه.

ولكن معاني كلام الله تعالى ليست على درجة واحدة من الوضوح والخفاء؛ بل الأمر كما قال ابن عباس -رضي الله عنه- على أربعة أوجه: «وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى»¹.

والإشكال الحاصل هنا هو أن الحدود بين هذه الأنواع ليست واضحة جليّة للكل، وأكثر الناس إنما يطلب العلم فيما خفي عليه وأشكل، دون ما ظهر له واتضح، وهنا يكمن الخطر، خاصة عند عامة الناس في محاولاتهم إلى تدبر القرآن الكريم؛ فإن كثيراً ممّا تراه العامّة ظاهر المراد واضح المعنى ليس كذلك؛ بل قد يكون المراد منه غير ما يبدو لأول النظر، وخلاف ما يظهر لبادئ الرأي؛ وبهذا تكون المعاني الحاضرة في الأذهان توهم وليس هو الحقيقة المقصودة ولا هو المعنى المراد.

والوهم بلا شك شرٌّ من الجهل، فإن الجاهل قد يزيل عن نفسه الجهل بطلبه للعلم، والواهم لا يرى بنفسه حاجة إلى التعلّم؛ فهو راضٍ بما عنده من العلم، فلا يسعى لطلب سواه، ولا يتطلع لغير ما توهم من المعنى.

ومنشأ هذا الوهم إجمالاً: اعتقاد الناظر في القرآن وضوح المعنى وعدم حاجته إلى التفسير والبيان، ولذلك أسباب تفصيلية كثيرة جداً، ذلك أنّها أمور متعلقة بالناظر في معاني القرآن، وأخطاء الناظرين غير محصورة، وقد ترى في كل غلط سبباً أو أسباباً، ولو ذهبنا نستقصي كلّ سبب يؤدي إلى الغلط لطلال الأمر و استحال الحصر، ولكننا نُشير إلى أهمّها وأشهرها؛ تذكيراً للسامع والمتكلم، وتحذيراً للخائض في الكلام في كتاب الله من غير هدى، و سيظهر ذلك بحول الله جلياً في الأمثلة التي سنوردها حتى يتضح المقصود و نبلغ القصد المنشود.

1 - محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن: 75/1.

الفرع الأول: مفهوم الظاهر المجرد في القرآن الكريم.

قد عرفنا المفهوم العام للظاهر في القرآن الكريم، ولكن الظاهر المجرد مصطلح يفيد عموم الظاهر في القرآن الكريم والذي يفهم من أول قراءة للآية أو الكلمة القرآنية، دون البحث في معان جديدة بعيدة عن المعنى المباشر الذي حصل في الذهن لأول وهلة. فالجهد هو ما انفرد بذاته لبيان معنا في الآية دون الحاجة الى البحث فيما وراء المعنى من تأويل قريب كان أم بعيد. و مثال ذلك في القرآن الكريم كثير جدا نحو: قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ [الفيل: 01] فقصة أصحاب الفيل التي وردت في هذه السورة واضحة المعنى، جلية الدلالة كما تتابع ذكرها في كتب التفسير. كما جاء في تفسير الميسر: "...ألم تعلم -أيها الرسول- كيف فعل ربك بأصحاب الفيل: أبرهة الحبشي وجيشه الذين أرادوا تدمير الكعبة المباركة؟...¹

الفرع الثاني: مفهوم الظاهر المراد في القرآن الكريم.

مفهوم الظاهر المراد في القرآن هو جوهر بحثنا، وقد تقدم فيما سبق مفهوم الظاهر في اللغة والاصطلاح الشرعي وخاصة ما تعلق بعلم التفسير الذي يدور فلك البحث حوله. فالظاهر المراد هو الظاهر من المعاني التي لا قبل للوصول الى فهمها الا بعد جهد من النظر والتفكير والتدبر ومعرفة السياق واللحاق ودلالات الألفاظ وإعمال الفكر في الخاص والعام والمطلق والمقيد واستحضار قواعد النحو والبلاغة ودراسة أسباب النزول والبحث في كتب العقائد حتى يستقيم للباحث أو المنشغل بعلوم القرآن عامة والتفسير خاصة المعنى الذي يريده الله بما سنحت به الطاقة البشرية من جهد. فان قال قائل: إن الله يسر على الناس فهم كتابه وجعله هداية لهم من الضلال، فكيف يكون بهذا الغموض؟ او كيف يلزم منا استحضار كل ما ذكر بغية فهمه واستخراج معانيه؟

قلنا: أن الظاهر المراد هو حقيقة مراد الله الذي أراد للعباد العلم به والعمل وفقه، ولكن الوصول اليه يختلف باختلاف الناس في أفهامهم ومداركهم وملكاتهم. ولأن الناس يتفاوتون

¹ مجموعة من أساندة التفسير، التفسير الميسر، مجمع الملك فهد بن عبد العزيز لطباعة المصحف الشريف، ص: 64.

فيما فتح الله عليهم من أفهام وملكات فان ما يكون ظاهرا لأحد وفهم لمراد الله من خلاله لا يكون هو الظاهر المراد لغيره وسبب الاختلاف فيه يحصل من اختلاف منطلق كل واحد منهم بما له من عقيدة وملكة لغوية وصبر واجتهاد وقوة الاستنباط وسعة اطلاع وصحة نقل للأخبار.

فاختلاف المذاهب العقدية والفقهية والاختلاف التفاسير في كثير من المعاني سببه الاختلاف في معرفة الظاهر المراد من الآيات ولذلك يتفاوتون في الوصول الى مراد الله عزوجل من خلال المعاني المختلفة. فالظاهر المراد هو ما ظهر من المعاني القرآنية والتي لا ينبغي أن يصل العبد الى مراد الله فيها الا بما صح من العقيدة وصحيح النقل وعلم بلغة القرآن والإحاطة بعلومه. ولا يستطيع أحد الجزم على أنه وصل الى مراد الله في كل آياته، وإلا فان كان ذلك كذلك لأغلق باب الاجتهاد ولنتفى عن القرآن صلاحه لكل زمان ومكان ولنقطع اعجازه وانقضت عجائبه.

المطلب الثاني: أهمية معرفة الظاهر المجرد والظاهر المراد في القرآن الكريم:

إن معرفة الظاهر المجرد والظاهر المراد في كتاب الله، لها من الأهمية ما يجعلها عصب التعامل مع كتاب الله تدبرا وتلاوة وتفسيرا أو تعليما للناس. لأن العمل كله مبني على معرفة مراد الله من خلال تلاوة آياته وتدبرها والتعبد بما جاء فيها من أحكام. فهل يستقيم أن يجهل العبد مراد الله منه ثم يقيم دينه ودنياه على همل وجهل أو أن يتكلف فهما لآيات القرآن لم ينزل الله به من سلطان. فالعاقل من اتبع و لم يبتدع و الخلاص في لآخرة إنما يكون لمن تبع سبيل الله على هدى من الله و لم يتبع هواه و لا ما تشابه من آياته فتزل قدم بعد ثبوتها و يذوق يوم القيامة السوء بما صد عن سبيل الله عزوجل. قال تعالى على لسان نبينا محمد صلى الله عليه و سلم: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: 108]. وتكمن أهميتها في أربعة نقاط هي:

* **سلامة المعتقد:** من سلم له المعتقد فقد نجاه الله من الشرك بكل أنواعه، و من سلم توحيدده فلا خوف عليه، و لا يكون ذلك إلا بإتباع سلف الأمة في توحيدهم لله عزوجل في ربوبيته و ألوهيته و أسمائه الحسنى و صفاته العلى، و تنزيهه عزوجل عن الشريك و المثل. و

لان مصدر العلم بالتوحيد هو كلام الله عزوجل الذي اخبر به عن نفسه سبحانه بما يجوز وصفه به و بما يُتوقف عنده بلا خوض فيه. و أن الظاهر من كلام الله لا يصرف عن ظاهره الجرد الواضح إلا بما صرفه هو من ظاهر مراده منه عزوجل بينه في كتابه و أبانه النبي صلى الله عليه و سلم في حديثه أو ارشد إليه أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم بما علموا من الوحيين ، نعلم أهمية معرفة الظاهر المجرد و المراد في القرآن الكريم و أنه أمر توقيفي لا يجوز الخوض فيه لان فساد العقيدة فساد الدنيا و الآخرة. قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: 180] . فذكر المفسرون أن " يلحدون " أي : يميلون عن القصد، ومن كذبهم أنهم سمو أصنامهم بأسماء اشتقوها من أسماء الله جل في علاه.¹

* سلامة فهم أحكام الله وتطبيقها:

ومن أهمية معرفة الظاهر المجرد وكذا الظاهر المراد من كلام الله عزوجل؛ سلامة الأحكام -و ما أنزل الله من حدود و أوامر و نواهي- من التحريف. لأن الشريعة مبناها على الأحكام التي أنزلها الله في كتابه ليطاع بها وتستقيم حياة المؤمنين من خلال إتباعها. فمن أعمل فهمه في مقابل ما أنزل الله من أحكام غير مستند لأهل الذكر من العلماء الذين بذلوا ما أمكنهم حتى يعلموا حدود ما أنزل الله على نبيه ويستنبطون ما خفي من دلالات الآيات، بأدلة دامغة و حجج باهرة. فلا يستقيم أن تكون أحكام الله رهينة الأهواء أو الفلسفات أو القول بالرأي دون دليل. ومن هنا تظهر أهمية معرفة مراد الله من خلال آيات الذكر الحكيم ونضمن سلامة الدين من المفسدين المحرفين لمقاصد القرآن الكريم. ونحن اليوم نرى من تجرأ على أحكام الله من بعض المتأخرين الجهلة الذين ينادون بتغيير الخطاب الديني على حد قولهم وتعطيل أحكام الله مستندين إلى جهلهم بالظاهر المراد والظاهر المجرد من آيات الله عزوجل. و من أمثلة ذلك ما نادى به محمد شحرور من قراءة جديدة لآيات القرآن واتخاذ فهمه السقيم لأحكامه فقد جاء من بين ترهاته ما ورد في مدونات موقعه الرسمي و التي علق عليها أحدهم بقوله: "... يستعرض شحرور نموذجاً تطبيقياً على منهجه هذا في قوله تعالى : يقول شحرور: (أما قوله:

1 علي بن أحمد الواحدي، الوحي في تفسير الكتاب العزيز:ص:423.

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ . فهو: بما أن القرآن حقيقة مطلقة فتأويله الكامل لا يكون إلا من قبل واحد فقط، وهذا الواحد هو الله المطلق. ولهذا قلت: إن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم التأويل الكامل للقرآن بكل تفاصيله؛ لأنه يصبح شريكاً لله في مطلق المعرفة. أما معرفة التأويل المتدرج المرحلي فهو من قبل الراسخين في العلم كلهم مجتمعين لا فرادى (...). وهنا يجب أن نفهم أن الراسخين في العلم هم: مجموعة كبار الفلاسفة وعلماء الطبيعة وأصل الإنسان وأصل الكون وعلماء الفضاء وكبار علماء التاريخ مجتمعين (...).

ويقول أيضاً: (...). ولم نشترط لهذا الاجتماع حضور الفقهاء؛ لأنهم ليسوا معينين - في رأينا - بهذه الآية، لأنهم أهل أم الكتاب. والراسخون في العلم مجتمعين يؤولون حسب أراضيتهم المعرفية، ويستنتجون النظريات الفلسفية والعلمية، ويتقدم التأويل والعلم في كل عصر حتى قيام الساعة...¹

(فالراسخون في العلم هم من الناس الذين يحتلون مكان الصدارة بين العلماء والفلاسفة، وهؤلاء من أمثال: البيروني، الحسن بن الهيثم، ابن رشد، إسحاق نيوتن، أينشتاين، تشارلز داروين، كانت، هيغل...)²

* سلامة الاجتهاد في مسائل الاعتقاد والأحكام والفتاوى:

لا شك أن العلماء هم أروع الناس في التعامل مع آيات الله عزوجل حال استنباطهم للأحكام الشرعية على اختلافها. وقدوتهم في ذلك سلف الأمة من الصحابة رضوان الله عليهم

1 فوزي بن عبد الصمد فطاني، شحور مفسدا لا مفسرا، أوراق علمية: 63، (سلف للبحوث والدراسات)
2 محمد شحور، (ت1938-2019)، مهندس وباحث ومفكر سوري، وأحد أساتذة الهندسة المدنية في جامعة دمشق ومؤلف ومنظر لما أطلق عليه «القراءة المعاصرة للقرآن». «بدأ شحور كتاباته عن القرآن والإسلام بعد عودته من موسكو واتهمه البعض باعتناقه للفكر الماركسي بسبب قضاءه فترة شبابه في الاتحاد السوفيتي. في سنة 1990 أصدر كتاب الكتاب والقرآن الذي حاول فيه تطبيق بعض الأساليب اللغوية الجديدة في محاولة لإيجاد تفسير جديد للقرآن، وأثار ذلك لغظاً شديداً استمر لسنوات وصدرت العديد من الكتب لنقاش الأفكار الواردة في كتابه ومحاولة دحضها أو تأييدها. وقد كسب محمد شحور العديد من المؤيدين والمعارضين لأفكاره في العديد من البلدان. (الكتاب والقرآن)، ص: 193.

ومن تبعهم من تلاميذهم من التابعين ومن تبعهم فلا يعلم عن السلف من قال في آيات الله بعقله أوحكم في أحكام الله وفق هواه. لذلك فمعرفة الظاهر المجرد من آيات الله والمراد منها سبيل ينتهجه أهل العلم في اجتهادهم يجعله ملاذاً آمناً لمن جاء بعدهم فقلدهم أو استفتهم فكانوا قليلاً ما يفتون و قليلاً ما يحدثون إلا أن يَسَلِّمَ لهم الأمر من القول في دين الله بلا علم. ولا أفضل من إيراد هذا المثال عن ورعهم وخوفهم من القول بلا علم. فقد جاء حكاية عن بعض الصحابة "... و (الأب) المرعى قاله ابن عباس ومجاهد وابن زيد وقتادة وقال الضحاك (الأب) التبن وفي اللفظة غرابة وقد توقف في تفسيرها أبو بكر وعمر رضي الله عنهما و " متاعاً " نصب على المصدر والمعنى تتمتعون به انتم وانعامكم فابن آدم في السبعة المذكورة والأنعام في الأب ..."¹

* الانقياد للعلماء الريانيين في اجتهادهم:

من علم أن اجتهاد العلماء لا يكون إلا بالرجوع إلى الأدلة والوقوف عند مناطاتها فيسلم له تقليدهم دون حرج لأنهم أعلم بكتاب الله من غيرهم ومن ثم هم أعلم بالظاهر المجرد الذي لا يجوز صرفه عن ظاهره إلا بقريئة وكذلك علمهم بالظاهر المراد الذي يستنبط من جمع الدلائل والحجج عليه. فيحصل الاطمئنان إلى تقليدهم في مسائل الاعتقاد والفقہ والفتوى. وهم أولى الناس من غيرهم في استنباط المعاني من القرآن الكريم نظراً لاستقامة عقيدتهم و غزارة علمهم و ورعهم، فلا يجوز أن يتخذ كلام الله غرضاً تعتريه ألسنة الجهلة و عقولهم الملوثة فيخرجوا لنا الأعاجيب من الفتاوى و المعاني التي هي كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء.

1 بن عطية الاندلسي، (ت: 584 هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (دار الكتب العلمية: لبنان، 1413 هـ -1993م)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد 413/5.

المطلب الثالث: ضوابط التعامل مع الظاهر المجرد والظاهر المراد في القرآن الكريم وأسباب الغلط في التفسير:

الفرع الأول: ضوابط التعامل مع الظاهر المجرد والظاهر المراد في القرآن الكريم:

للتعامل مع القرآن الكريم ضوابط دقيقة لأنه كلام الله الذي لا يجوز القول فيه القول بغير العلم. ولأنه مصدر التشريع ومرجع أصول الاعتقاد والأحكام كان لزاما على كل من تعامل مع كتاب الله أن يعلم ضوابط التعامل مع ما جاء فيه من الآيات وخاصة ما تعلق بالمعاني، فهذه بعض الضوابط المهمة التي لا ينفك عنها دارس لعلوم القرآن الكريم والتي يسلم بها المعتقد ويسلم بها فهم الأحكام الفقهية و قصص القرآن الكريم بما حوته من دقائق الاخبار.

1-ضابط العلم بأصول الدين والاعتقاد:

كما ذكرنا سلفا أن العقيدة وأصول الدين هي حادي كل من يطلب العلم الشرعي أو يشتغل به متعلما أو معلما له فلا بد له من دليل يحدوه كي لا يجيد به عن جادة الصواب، ومن أهم ما يجب التبصر به عند أهل العلم عامة وأهل التفسير وعلوم القرآن خاصة الحذر من القول في القرآن بغير علم أو دليل لذلك كان الضابط الأول الذي يلج به كل طالب علم أو باحث في كتاب الله أو منشغل بعلوم القرآن هو سلامة الاعتقاد ورسوخه وصفاءه من المكدرات كالشبه والضلالات. فمن كان في حرز العلم واليقين وأصول ثابتة بما حوى كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم فهو على نور من ربه، يعصمه من الزلل ويوقفه عند حدود لا يتجاوزها إن فقد فيها الدليل. فمنهج الأنبياء والصالحين من عباد الله المخلصين، الانقياد لله حالة العلم بمقتضى ما علموا أو حالة الجهل به فيتوقفوا ولا يحملون أنفسهم عن القول في دين الله وكتابه بغير علم. كما قال نبي الله نوح عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [هود: 47]

2-ضابط معرفة اللغة العربية ودلالاتها:

اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم و لغة النبي صلى الله عليه و سلم و هي وسيلة الخطاب بين الناس على اختلافهم في الاعتقاد و العلم و الفهم و تفاوت الناس فيها منذ زمن النبوة و قد بعدت الشقة بينها و بين الناس اليوم لما دخل في ألسنة الناس من العجمة. فنتج

عن ذلك الاعتقادات الباطلة و المعاني السقيمة و استمرت عقوداً من الزمن بسبب المتكلمين و المتكلمين لمعان ما خاض فيها جهابذة العرب قديماً، و قد ملكوا ناصية الشعر و الأدب و البلاغة و لكن الشيطان سول لهم و أملى لهم. فمن علم بالعربية و نحوها و بصر بما فيها من معاني الالفاظ و ما جرت به السنة العرب الخُلص، سهل عليه فهم مراد الله و لو إجمالاً و حالت فصاحته بينه و بين الزلل و الغلط في المعاني المختلفة. قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 2]، وأنزله على رجلٍ هو من أفصحهم؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ١٩٣ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ١٩٥﴾ [الشعراء: 192-195].

لذلك فلا يُستغرب أن يجعل العلماء العلمَ بالنحو شرطاً في حق المجتهد والمفسّر، يقول ابن حزم رحمه الله: «ففرضُ على الفقيه أن يكون عالماً بلسان العرب؛ ليفهم عن الله عز وجل وعن النبي صلى الله عليه وسلم، ويكون عالماً بالنحو الذي هو ترتيب العرب لكلامهم، الذي به نزل القرآن، وبه يفهم معاني الكلام التي يعبر عنها باختلاف الحركات وبناء الألفاظ، فمن جهل اللغة، وهي الألفاظ الواقعة على المسميات، وجعل النحو الذي هو علم اختلاف الحركات الواقعة لاختلاف المعاني، فلم يعرف اللسان الذي به خاطبنا الله تعالى ونبيُّنا صلى الله عليه وسلم، ومن لم يعرف ذلك اللسان لم يحلَّ له الفتيا فيه؛ لأنه يفتي بما لا يدري»¹.

الفرع الثاني: أسباب الغلط في فهم القرءان من خلال الظاهر:

إن الضوابط التي أسلفنا ذكرها والتي تعتبر محترزات من الزلل والغلط والمرتبطة رأساً بما تحويه الآيات من المعاني والأحكام لها علاقة وثيقة بأسباب وقوع الخطأ فمن فقد الضابط او جزء منه أو فسد فلا مناص من أن يكون هو بعينه سبباً في الغلط والانحراف عن الصواب في فهم كتاب الله ومراده عزوجل من عباده. وهي مندرجة فيما يلي:

1 العلامة بن حزم الظاهري الاندلسي، (ت: 456هـ)، الإحكام في أصول الأحكام 117/5.

1- الجهل بأصول الاعتقاد:

و إن من أسباب الوقوع الغلط في فهم كلام الله -تعالى- جهل المرء بأصول الإسلام الثابتة، وهو ما قد يوقعه في تفسير يخالف تلك الأصول المستقرة من حيث لا يدري. وقد زلت أقدام كان لها من العلم ما لا تكدره الدلاء ولكن لما شاب العقيدة شوائب الضلال، لم يسلم القوم من الوقوع في القول في كتاب الله بما يخالف ما نص عليه سبحانه في محكم آياته، فكثير من أهل العقائد الباطلة، ومنذ أحقاب ماضية خالفوا مقتضى آيات الله، والسبب فيما وقعوا فيه من تحريف وتأويل للظاهر المراد من الآيات هو فساد أصول معتقدتهم.

ومن ذلك: خطاب الله للملائكة في قوله: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: 33]، فقد يعتقد البعض أن الملائكة قد تكتم عن الله تعالى شيئاً أمرهم ببيانه أو سألم عنهم، وهو غلطٌ شديدٌ مخالفٌ لأصل واضح من أصول الاعتقاد، وفي هذا المثال المقصد هو عصمة الملائكة الثابتة بنحو قوله تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: 6]، وقوله: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: 27، 28]، و أدلة كثيرة؛ و كما نعلم أن الملائكة هم من منزلة قريبة من الله عزوجل ، و يعلمون أن علم الله بأحوال المخلوقات لا يعزب عنه مثقال ذرة ، فكيف يمكن أن يخطر ببال أحد أن الملائكة قد يكتمون عن الله شيئاً، أو يخفون في أنفسهم سرا فهذا محال الوقوع و التصور و هم لله خاضعون خاشعون طائعون وبه عالمون.

قال أبو حيان في تفسير الآية: «ليس المعنى أنهم كتموا عن الله؛ لأن الملائكة أعرف بالله وأعلم؛ فلا يكتمون الله شيئاً، وإنما المعنى أنه هجس في أنفسهم شيء لم يُظهره بعضهم لبعض، ولا أطلععه عليه. وقيل: الكاتم إبليس، كتم عداوته لآدم منذ رآه مخلوقاً، فيكون من خطاب الجمع، ويراد به الواحد نحو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُمَادُونَكَ...﴾ [الحجرات: 4]»¹.

ومن ذلك: قوله تعالى في قصة ولدَي آدم: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [المائدة: 29]، فقد يُفهم منه خطأً أن القاتل يحمل إثم قاتله مع إثم نفسه، وهو معنى

¹ أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، البحر المحيظ في التفسير: 1/244، باختصار.

فاسد مخالف لما هو ثابت في الدين من أنّ أحدًا لا يحمل وزر أحد، كما دلّ عليه صريح قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: 164]؛ ولذا قال أبو جعفر الطبري -رحمه الله-: «غير جائز أن يكون آثامُ المقتول مأخوذًا بها القاتل، وإنما يؤخذ القاتل بإثمه بالقتل المحرّم وسائر آثامِ معاصيه التي ارتكبتها بنفسه، دون ما ركبته قتيله»¹.

قال الزجاج: "... معناه ترجع إلى الله بإثم قتلي وإثمك الذي من أجله لم يتقبل قربانك. السؤال الثاني: كما لا يجوز للإنسان أن يريد من نفسه أن يعصي الله تعالى فكذلك لا يجوز أن يريد من غيره أن يعصي الله، فلم قال: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾...»²

2- ضعف المعرفة بلغة العرب وأساليبهم في التعبير:

ومن الأسباب التي يقع بها الغلط في فهم مراد الله في كتابه العزيز الجهل بلغة القرآن الكريم أو القصور في معرفتها؛ فإن القرآن هو متسع العربية الأكبر، وليس يفهمه فهما حقيقيا إلا من تمرّس وتعمّق في أساليب العرب وطرائقهم في التعبير، وأتقن لغتهم في مفرداتها وتراكيبها إتقانًا محكمًا. فمن كانت بضاعته مزجاة في علوم اللغة وآدابها فلا يمكن أن يفهمه حقّ الفهم، أو يدرك مقاصده إدراكًا وافيًا؛ بل سيخرج في الغالب بمعانٍ مغلوطة، ودلالاتٍ فاسدة، بعيدة كل البعد عن المراد الذي ارتضاه الله تعالى من كلامه وآياته.

ومنذ قديم الزمن تفتنّ السلف -رضي الله عنهم- إلى خطر العجمة والجهل بلسان العرب على المسلمين، وتأثير ذلك في فهم القرآن والسنة.

فعن الحسن -رضي الله عنه- قال: «أهلكتهم العجمة؛ يتأولون القرآن على غير تأويله»³، ويُروى: «أهلكتهم العجمة؛ يقرأ أحدهم الآية فيعني بوجوهها حتى يفترى على الله فيها»⁴.

1 محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد شاكر، (طبعة مؤسسة الرسالة: 1420هـ-2000م)، 217/10.

2 فخرالدين الرازي، (ت: 604هـ)، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: 36/6.

3 ابن وهب المصري، (ت: 195هـ) الجامع تفسير القرآن: 43/3.

4 بن عطية الاندلسي، (ت: 541هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 40/1.

وقال الإمام الشافعي -رحمه الله-: «فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها، على ما تعرف من معانيها... فمن جهل هذا من لسانها -وبلسانها نزل الكتاب وجاءت السنة- فتكلف القول في علمهما تكلف ما يجهل بعضه، فكانت موافقته الصواب -إن وافقه- غير محمودة، وكان بخطئه غير معذور»¹.

وتواترت عبارات العلماء داعية إلى تعلم العربية والتضلع فيها، وعدم الاكتفاء بالقليل منها؛ قال أبو إسحاق الشاطبي في (الاعتصام): «فعلى الناظر في الشريعة والمتكلم فيها أصولاً وفروعاً ألا يتكلم في شيء من ذلك حتى يكون عربياً أو كالعربي في كونه عارفاً بلسان العرب، بالغاً فيه مبالغ العرب أو مبالغ الأئمة المتقدمين كالخليل وسيبويه والكسائي والفراء ومن أشبههم وداناهم، فإن لم يبلغ ذلك فبحسبه في فهم معاني القرآن التقليدي، ولا يحسن ظنه بفهمه دون أن يسأل أهل العلم»².

3- حمل كلام الله تعالى على اصطلاحات العلماء الحادثة:

ان البحث في معرفة الظاهر المجرد و الظاهر المراد وضوابطه كما أسلفنا، تتيح لنا معرفة مكان الغلط في التفسير، و لان التفسير توسع أكثر مما كان عليه الصحابة و من تبعهم فقد حملت بعض الالفاظ القرآنية على محامل جديدة في المعنى واصطلاحات حديثة حين تناول العهد عن زمن نزول الوحي، وقد ضرب ابن القيم -رحمه الله- لذلك مثلاً بلفظتي: (مكروه) و(لا ينبغي)، وكيف أنهما قد اختصاً في الاصطلاح المستحدث بما ليس بمحرّم و أن تركه أرجح من فعله، مع أنه «قد اطرّد في كلام الله ورسوله استعمال (لا ينبغي) في المحذور شرعاً وقدراً، وفي المستحيل الممتنع؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مریم: 92]، وقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يس: 69]، وقوله: ﴿وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾ [الشعراء: 210، 211]، وقوله على لسان نبيّه: «كذبي ابن آدم وما ينبغي له، وشممني ابن آدم وما ينبغي له»³، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام»⁴.

1 محمد بن ادريس الشافعي، (ت: 767هـ)، الرسالة، ص: 21/20.

2 إبراهيم بن موسى الشاطبي، (ت: 790هـ)، الاعتصام: 297/2.

3 أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، (ت: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن: 251/7.

4 محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن: 254/2.

وأمثال ذلك، قوله تعالى عُقِيب ذِكْر ما حَرَّمه من المحرمات من عند قوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: 23]، إلى قوله: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: 23]، إلى قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَشِيَّةً إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: 31]، إلى قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا﴾ [الإسراء: 32]، إلى قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الإسراء: 33]، إلى قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ [الإسراء: 34]، إلى قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: 36]، إلى آخر الآيات؛ ثم قال: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: 38]، وفي الصحيح: «إِنَّ اللَّهَ -عز وجل- كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»¹.

ومن ذلك أيضاً: لفظ التأويل الوارد في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: 7] ونحوه، فقد يظن ظاناً أن المراد به هذا الاصطلاح المتأخر للعلماء الذي يعنون به: (صَرَفَ الكلام عن ظاهره إلى معنى يحتمله)²، وليس كذلك، قال أبو جعفر الطبري: «وأما معنى (التأويل) في كلام العرب، فإنه التفسير والمرجع والمصير»³.

وقال الواحدي: «قوله تعالى: ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾. التأويل: التفسير. وأصله في اللغة: المرجع والمصير، ثم تسمى (العاقبة): (تأويلاً)؛ لأن الأمر يصير إليها. و(التفسير) يسمى: (تأويلاً)، وهو قوله: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: 78]؛ أي: بعلمه وتفسيره؛ لأن التأويل: إخبار عما يرجع إليه اللفظ من المعنى.

قال ابن عباس في قوله: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59]: يريد: أصدق تفسيراً. وقال قتادة والسدي وابن زيد: وأحمد عاقبةً⁴.

1 شيخ الإسلام بن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين (1/ 34) بتصرف يسير. والحديث أخرجه البخاري (2408)، ومسلم، (1715).

2 العلامة بدر الدين الزركشي، (ت: 794هـ)، البحر المحيط في أصول الفقه: 37/5.

3 محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن: 204/6.

4 أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، (ت: 468هـ)، التفسير البسيط: 52/5، 547/6.

4-ترك النظر في أسباب النزول:

ومن أسباب الغلط كذلك في فهم مراد الله تعالى اهمال النظر في أسباب النزول، فإن لها دورًا مهمًا في بيان معنى الآية والمراد بها، وترك النظر فيها موقّع في الغلط، بل قد يفضي الى معانٍ فاسدة أحيانًا، جاء عن الامام الشاطبي قوله: «إن معرفة مقاصد العرب إنما مدارها على معرفة مقتضيات الأحوال حال الخطاب، من جهة نفس الخطاب، أو المخاطب أو المخاطب أو الجميع؛ إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين، وبحسب مخاطبين، وبحسب غير ذلك. وإذا فات نُقِلُ بعض القرائن الدالة؛ فات فهم الكلام جملة، أو فهم شيء منه. ومعرفة الأسباب رافعة لكل مُشكِك في هذا النمط؛ فهي من المهمّات في فهم الكتاب بلا بد، والجهل بأسباب التنزيل موقّع في الشُّبُه والإشكالات، ومُورِد للنصوص الظاهرة مُورِد الإجمال حتى يقع الاختلاف»¹.

وشاهد ذلك ما رُوي «أن عمر -رضي الله عنه- استعمل قدامة بن مظعون على البحرين، فقدم الجارود على عمر فقال: إن قدامة شرب فسكّر؛ فقال عمر: مَنْ يشهد على ما تقول؟ فقال الجارود: أبو هريرة يشهد على ما أقول، وذكر الحديث. فقال عمر: يا قدامة إني جالدك، قال: والله لو شربتُ كما يقولون ما كان لك أن تجلدني، قال عمر: ولم؟ قال: لأن الله يقول: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ [المائدة: 93]. فقال عمر: إنك أخطأت التأويل يا قدامة؛ إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم الله.

وفي رواية: فقال عمر: ألا تردون عليه قوله؟ فقال ابن عباس: إن هؤلاء الآيات أنزلن عذرًا للماضين وحجةً على الباقيين، فعذر الماضين بأنهم لقوا الله قبل أن تحرم عليهم الخمر، وحجة على الباقيين؛ لأن الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ...﴾ [المائدة: 90]، ثم قرأ إلى آخر الآية الأخرى، فإن كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا، فإن الله قد نهي أن يشرب الخمر. قال عمر: صدقت².

1 إبراهيم بن موسى الشاطبي، (ت: 790هـ)، الموافقات: 4/146 مختصر.

2 الأثر أخرجه عبد الرزاق في المصنف (9/241)، والبيهقي في السنن الكبرى: 513/8.

5- الغفلة عن أحوال العرب وعاداتها وقت نزول القرآن:

من أسباب الغلط في فهم كلام الله تعالى الغفلة عن أحوال العرب وعاداتها وقت نزول القرآن، فإنّ لها حُكْمَ أسباب النزول، ولكنها أسباب عامة غير مختصة بشخص معيّن أو واقعة بعينها، ولمعرفتها أهمية كبرى في فهم النص القرآني، وعدم إدراكها مُوقِع في إشكالات كثيرة. وممن التفتَ إلى هذا الأمر الشاطبي في (الموافقات)؛ وذلك إذ يتحدث عما ينبغي لطالب علم القرآن أن يحيط به فيقول: «ومن ذلك معرفة عادات العرب في أقوالها وأفعالها ومجاري أحوالها حالة التنزيل، وإن لم يكن ثمَّ سبب خاص لا بد لمن أراد الخوض في علم القرآن منه، وإلا وقع في الشُّبُه والإشكالات التي يتعذر الخروج منها»¹.

ذلك أن تلك العادات دائمة التغير عبر الأزمان، والنص إنما يُفهم حقّ الفهم في سياقها، وبالغفلة عنها يَنبَهُم معنى النص، ويلتبس المراد منه؛ ولذا كانت معرفة أحوال العرب وعاداتها زمن نزول القرآن مُعِينة على الفهم الصائب والتفسير الصحيح دون إشكال. ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 46].

قال الإمام الطبري -رحمه الله-: «إن قال لنا قائل: وكيف أخبر الله -جل ثناؤه- عمن قد وصفه بالخشوع له بالطاعة أنه (يظن) أنه ملاقيه، والظن: شك، والشاكُّ في لقاء الله عندك بالله كافر؟

قيل له: إن العرب قد تسمّى اليقين (ظنًّا)، والشك (ظنًّا)؛ نظير تسميتهم الظلمة (سدفة)، والضياء (سدفة)، والمغيث (صارخًا)، والمستغيث (صارخًا)، وما أشبه ذلك من الأسماء التي تسمي بها الشيء وضده. ومما يدل على أنه يسمّى به اليقين، قولُ دريد بن الصمة:

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج *** سراتهم في الفارسي المسرد

يعني بذلك: تيقنوا ألفي مدجج تأتيكم.

وقول عميرة بن طارق:

بأن تغتروا قومي وأقعد فيكم *** وأجعل مني الظن غيبًا مُرَجِّمًا

1 إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة: 261 / 3.

يعني: وأجعل مني اليقين غيباً مرجماً. والشواهد من أشعار العرب وكلامها على أن (الظن) في معنى اليقين أكثر من أن تحصى، وفيما ذكرنا لمن وفق لفهمه كفاية»¹.

فمن هنا تظهر أهمية معرفة كلام العرب، والتبصر بأساليبهم وهذا الأمر بلا شك معين على الفهم الصحيح، والتفسير الدقيق لآيات الله عزوجل. وقد حث الأقدمون من العلماء على ضرورة فهم كلام أهل اللسان من العرب الأوائل حتى يفهم كتاب الله جل في علاه.

6- إهمال النظر في بعض القرآن دون بعض:

ما من شك أن من ثابت القواعد عند المفسرين قاعدة أن القرآن مفسراً لبعضه بعضاً، وأن أولى ما فُسر به القرآن هو القرآن، فما أُجمل في موضع بُيّن في موضع آخر وفُصل.

وهي قاعدة لا يستغني عنها كل من أراد الدراسة والنظر في القرآن الكريم؛ فإن النظرة الجزئية للقرآن والتي لا تحيط بما ارتبط بالآيات من معاني، تعطي القارئ معاني ناقصة حيناً، وخاطئة ومغلوبة حيناً، وقد تكون باطلة بالكلية في أحيانٍ أخرى.

وان مما نبه عليه العلماء أجلهم الله، خطورة انتزاع الآيات من سياقها والنظر فيها مستقلة عنه، والأخطر من ذلك الاستشهاد بها منفردة دون مقابلتها مع سابقها ولاحقها من السياق، أو النظر في نظائرها من سور القرآن الأخرى.

يقول ابن حزم -رحمه الله-: «وما ضلّت الخوارج إلا بتعلّقهم بآياتٍ ما، وتركوا غيرها، وتركوا بيان الذي أمره الله -عز وجل- أن يبين للناس ما نزل إليهم وهو رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولو أنهم جمعوا آي القرآن كلّها وكلام النبي -صلى الله عليه وسلم- وجعلوه كلاً لازماً، وحكماً واحداً، ومتبعاً كله؛ لاهتدوا»².

وأورد الامام الشاطبي عن منشأ البدع والخرافات فيردّه إلى مثل ذلك، يقول -رحمه الله-: «ومدار الغلط في هذا الفصل إنما هو على حرف واحد، وهو الجهل بمقاصد الشرع، وعدم ضم أطرافه بعضها إلى بعض، فإنّ مأخذ الأدلة عند الأئمة الراسخين إنما هو على أن تأخذ الشريعة كالصورة الواحدة، تحتسب ما ثبت من كلياتها وجزئياتها المرتبة عليها، وعامتها المرتب على

1 محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن: 19/1.

2 محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد شاکر: 623/1.

خاصَّها، ومُطلِّقها المحمول على مقيدها، ومُجملها المفسَّر بمبيِّنها، إلى ما سوى ذلك من مناحيها، لا يطلب منها الحكم على حقيقة الاستنباط إلا بجملتها؛ لا من دليل منها أي دليل كان، وإن ظهر لبادي الرأي نطق ذلك الدليل فإنما هو توهُمي لا حقيقي! ¹.

1 إبراهيم بن موسى الشاطبي، الاعتصام: ص: 184.

المبحث الثالث

نماذج عن الظاهر المجرد

والظاهر المراد في القرآن الكريم

المبحث الثالث: نماذج عن الظاهر المجرد والظاهر المراد في القرآن الكريم:

الظاهر المجرد في القرآن الكريم كثير الورد، وكما أسلفنا من قبل أن الظاهر المجرد في علم التفسير تحديداً وهو مجال البحث. أنه المعنى الذي يدرك مباشرة من خلال اللفظ ولا يحتاج بحثاً وراءه بل هو ما قر في القلب من المعنى مع أول قراءته. وقد ورد في القرآن الكريم وخاصة ما تعلق بالعقيدة والأحكام والتي تحتاج أن تكون واضحة فلا تلبس على متلقيها. ورغم أنها واضحة وظاهرة إلا أن بعض الفرق وخاصة من الشيعة والقدرية والمعتزلة، ومن تأخر من الحدائين الذين صرفوا بعضاً من هذا الظاهر المجرد إلى تأويلات لا تقبلها اللغة ولا العقيدة ولا عرفها العرب ولا خطرت حتى على من كانوا أعداء للإسلام والنبوة زمن النبي صلى الله عليه وسلم، من المشركين مكة ومن أهل الكتاب في المدينة.

وسنورد أمثلة من الظاهر المجرد والظاهر المراد التي جاءت في القرآن الكريم والتي يتضح منها المقصود ويوصل بها إلى المنشود:

المطلب الأول: أمثلة تتعلق بالعقيدة

لقد تقدم في المطلب الثالث من المبحث الثاني الضوابط التي يقوم عليها التفسير وخاصة معرفة الظاهر المجرد من الظاهر المراد و ذكرنا أن العقيدة الصحيحة و العلم بأصول الدين وقاية من الوقوع في الغلط و القول على الله بغير علم وأن القول في الأسماء و الصفات خاصة لا يجوز فيها التأويل و التعطيل و التشبيه و لكن عرض من بعض المتأخرين و حتى المتقدمين من أهل العقائد الباطلة حمل بعض ألفاظ الآيات على معان تجنح بذهن من سمعها إلى تصديق معتقداتهم، و التي ما خطرت على أفهام المشركين في مكة أو المنافقين أو أهل الكتاب الذين كانت عداوتهم للإسلام ظاهرة و كانوا يترقبون الزلل حيث كان، فيقدحون في دعوة الإسلام، و النبي صلى الله عليه و سلم.

وقد وقع في الزيغ والضلال من زلت به قدم في العقيدة وأصولها، فيأتي بالعجائب من المعاني التي لا تتوافق مع التوحيد ولا تتوافق مع ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما

أخبر عن رب العزة والجلال سبحانه. ومن تعرض لأسماء الله الحسنى وصفاته العلى من الفرق التي ذكرنا أنفا وتعرضوا لها بالتكليف والتمثيل والتعطيل والتشبيه. والمراد منها هو مراد الله عزوجل وليس مراد العباد، لأن ما يريد الله من المعاني فيما ورد في آيات الذكر، لا تتصرف به أفهام الناس بلا دليل أو برهان من القرآن نفسه أو من سنة النبي صلى الله عليه وسلم. وسنورد أمثلة تعلقت معانيها بالعقيدة لنوضح الظاهر المراد منها:

*المثال الأول: قوله تعالى في سورة القلم ﴿يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: 42] تقول العرب عند هول الحرب و اشتدادها: "كشفت الحرب عن ساقها" و قول العرب كذلك عن الانشغال بشيء ذا بال "على قدم وساق" و لكن الظاهر هنا ليس المراد منه هول القيامة رغم ما فيها من هول و لكن المراد بكشف الساق هو ما ورد من حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي قرر أن ربنا سبحانه جل شأنه يكشف عن ساقه التي لا تشبيه لها، فيسجد المؤمنون جميعا و يعجز الكفار عن ذلك لما امتنعوا عنه من السجود في الحياة الدنيا و قد ورد هذا التفسير و نحوه في التفسير الميسر:

"...يوم القيامة يشتد الأمر ويصعب هوله، ويأتي الله تعالى لفصل القضاء بين الخلائق، فيكشف عن ساقه الكريمة التي لا يشبهها شيء، قال صلى الله عليه وسلم: «يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا؛ رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقاً واحداً» رواه البخاري ومسلم.."¹

*المثال الثاني: و من الأمثلة الظاهرة الجليلة "صفة علم الله" الواردة في الآيات التالية:

ومنه قوله تعالى في سورة البقرة و غيرها من السور التي ورد بها صفة علم الله سبحانه و الذي يتبادر من النظر فيها عند البعض ظاهر مجرد مراده لا يتأتى الا بالرجوع الى العقيدة الصحيحة و منها قوله جل في علاه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عِبَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ البقرة: 143 .

1التفسير الميسر، مجموعة من أساتذة التفسير، جمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: 234/10.

فكلمة "لنعلم" لا تدل على تجدد العلم عند الله تعالى الله تجددًا لم يسبقه علم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وإنما العلم عنده حاصل و حادث بل هو العليم من الأزل و له العلم المطلق سبحانه لذلك فقد ذهب البعض إلى القول بان علم الله عزوجل متجدد و أنه لا يعلم بالحوادث إلا بعد حصولها، و هم يقصدون علمه المطلق. و الحاصل أن علم الله عزوجل على ضربين فعلم أزلي و علم متعلق بالحوادث حاصل به الثواب أو العقاب لما بدر من أفعال العباد و هو يقتضي المدح و الذم و الجزاء العقاب ، إما ما ذهب إليه أصحاب العقائد الأخرى من انتفاء علمه إلا عند الحوادث فهو باطل واضح و شر فاضح . كبر مقتا أن يقولوا على الله مثل هذا. و هذا توضيح لما جاء في المعاني العامة للآيات .

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ أي: علما يتعلق به الثواب والعقاب، وإلا فهو تعالى عالم بكل الأمور قبل وجودها. ولكن هذا العلم، لا يعلق عليه ثوابا ولا عقابا، لتمام عدله، وإقامة الحجة على عباده، بل إذا وجدت أعمالهم، ترتب عليها الثواب والعقاب، أي: شرعنا تلك القبلة لنعلم ونمتحن ﴿مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ ويؤمن به، فيتبعه على كل حال، لأنه عبد مأمور مدبر، ولأنه قد أخبرت الكتب المتقدمة، أنه يستقبل الكعبة، فالمنصف الذي مقصوده الحق، مما يزيده ذلك إيمانا، وطاعة للرسول. وأما من انقلب على عقبيه، وأعرض عن الحق، واتبع هواه، فإنه يزداد كفرا إلى كفره، وحيرة إلى حيرته، ويدلي بالحجة الباطلة، المبنية على شبهة لا حقيقة لها¹.

و قد ذكر شيخ الإسلام كلام المفسرين في قوله -تعالى:- ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾، فقال: "روي عن ابن عباس: أي لنرى، ورؤي "لنميز"، وهكذا قال عامة المفسرين: إلا لنرى ونميز، وكذلك قال جماعة من أهل العلم، قالوا: لنعلمه موجودًا واقعًا بعد أن كان عالمًا أنه سيكون، ولفظ بعضهم قال: العلم على منزلتين؛ علم بالشيء قبل وجوده، وعلم به بعد وجوده²، والحكم للعلم به بعد وجوده؛ لأنه يوجب الثواب والعقاب، قال: فمعنى قوله: ﴿لِنَعْلَمَ﴾؟ أي: لنعلم العلم الذي يستحق به العامل الثواب والعقاب، ولا ريب أنه كان عالمًا -سبحانه- أنه سيكون، ولكن لم يكن المعلوم قد وُجد، وهذا كقوله: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَغْمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا

1 عبد الرحمان بن ناصر السعدي، (ت:1376هـ)، تفسير الكريم الرحمان، (طبعة مؤسسة الرسالة:1420هـ-2000م)، ص:70.

2 شيخ الإسلام عبد الحليم بن تيمية الحراني، (ت:728هـ)، الرد على المنطقيين، (ص: 46-48).

في الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ [يونس: 18] أي بما لم يوجد؛ فإنه لو وجد لعلمه، فعلمه بأنه موجود ووجوده متلازمان، يلزم من ثبوت أحدهما ثبوت الآخر، ومن انتفائه انتفاؤه. وهذه أمثلة أخرى ورد بها علم الله الذي تعلق بالحوادث على جهة الامتحان والاختبار، وعلى جهة الوعظ لعباده ليميز الخبيث من الطيب والطائع من العاصي والمؤمن من غيره.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْعَذَابِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: 105].

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْجَزِينِ أَخَصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمْدًا ﴾ [الكهف: 12].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: 14].

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْمُرُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران: 142].

وقوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ﴾ [آل عمران: 140].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: 3].

فجميع ما ورد في الآيات من صفة العلم إنما هو العلم الذي تعلق بمقتضى الحوادث الذي يسبقه علم الأزل ولا يتنفي عن الله سبحانه، و قد جاء في التفاسير و منها تفسير القرطبي في معنى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: 14] مفعولان. والخلائف جمع خليفة، وقد تقدم آخر "الإنعام" أي جعلناكم سكانا في الأرض. "من بعدهم" أي من بعد القرون المهلكة. "لننظر" نصب بلام كي، وقد تقدم نظائره وأمثاله، أي ليقع منكم ما تستحقون به الثواب والعقاب، ولم يزل يعلمه غيبا. وقيل: يعاملكم معاملة المختبر إظهارا للعدل. وقيل: النظر راجع إلى الرسل، أي لينظر رسلنا وأوليائنا كيف أعمالكم.

"كيف" نصب بقوله: تعملون: لأن الاستفهام له صدر الكلام فلا يعمل فيه ما قبله¹.

1 أبو عبد الله محمد شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (دار عالم الكتب الرياض)، المملكة العربية السعودية ط: 2003 م: 185/7.

*المثال الثالث: قوله جل شأنه: ﴿إِٰمَنَ الرَّسُوْلُ بِمَا اُنزِلَ اِلَيْهِ مِنْ رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُوْنَ كُلٌّ اٰمَنَ بِاللّٰهِ وَمَلٰٓئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَقْرُقُ بَيْنَ اَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِمْ وَقَالُوْا سَمِعْنَا وَاَطَعْنَا غُفْرٰنَكَ رَبَّنَا وَاِلَيْكَ الْمَصِيْرُ﴾ [البقرة:285].

فالمعنى في عدم التفريق بين الرسل هو "الإيمان بهم جميعا" وليس كأهل الكتاب الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض. ولكن ليس المقصود بالآية عدم التفضيل بينهم فان المفاضلة بينهم فقد جاء في القرآن، تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض. وهو الظاهر المراد من الآية.

1- و منه قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءِٰمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوْا وَلٰكِنْ قُوْلُوْا اَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْاِيْمٰنُ فِيْ قُلُوْبِكُمْ وَاِنْ تُطِيْعُوْا اللّٰهَ وَرَسُوْلَهٗ لَا يَلْتَمِسْ مِنْكُمْ مِّنْ اَعْمٰلِكُمْ شَيْئًا اِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ﴾ [الحجرات:14].

فمسمى الإيمان يختلف في القراءان عن مسمى الإسلام وهو تعبير قرآني بينه النبي صلى الله عليه وسلم فقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم، بين المسلم والمؤمن، فدل على أن الإيمان أخص من الإسلام. وقد تقرر ذلك بأدلتته في أول كتاب الإيمان من "صحيح البخاري" والله الحمد والمنة. ودل ذلك على أن ذاك الرجل كان مسلما ليس منافقا؛ لأنه تركه من العطاء ووكله إلى ما هو فيه من الإسلام، فدل هذا على أن هؤلاء الأعراب المذكورين في هذه الآية ليسوا بمنافقين، وإنما هم مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم، فادعوا لأنفسهم مقاما أعلى مما وصلوا إليه، فأدبوا في ذلك. وهذا معنى قول ابن عباس وإبراهيم النخعي، وقتادة، واختاره ابن جرير. وإنما قلنا هذا لأن البخاري، رحمه الله، ذهب إلى أن هؤلاء كانوا منافقين يظهرون الإيمان وليسوا كذلك. وقد روي عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وابن زيد أنهم قالوا في قوله: ﴿وَلٰكِنْ قُوْلُوْا اَسْلَمْنَا﴾ أي: استسلمنا خوف القتل والسب. قال مجاهد: نزلت في بني أسد بن خزيمه. وقال قتادة: نزلت في قوم امتنوا بإيمانهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم. والصحيح الأول؛ أنهم قوم ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان، ولم يحصل لهم بعد، فأدبوا وأعلموا أن ذلك لم يصلوا إليه بعد، ولو كانوا منافقين لعنفوا وفضحوا، كما ذكر المنافقون في سورة براءة. وإنما قيل لهؤلاء تأديبا: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوْا وَلٰكِنْ قُوْلُوْا اَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْاِيْمٰنُ فِيْ قُلُوْبِكُمْ﴾ أي: لم تصلوا إلى حقيقة الإيمان بعد.

ثم قال: ﴿وَاِنْ تُطِيْعُوْا اللّٰهَ وَرَسُوْلَهٗ لَا يَلْتَمِسْ مِنْكُمْ مِّنْ اَعْمٰلِكُمْ شَيْئًا اِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ﴾.

أي: لا ينقصكم من أجوركم شيئاً، كقوله: ﴿وَمَا آَلَتْهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينَ﴾ [الطور: 21].¹

2- و في سورة البقرة ورد هذا المعنى في مسمى الايمان فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰرِئِينَ وَالصَّبِيَّانَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 62]

إن المؤمنين من هذه الأمة، الذين صدّقوا بالله ورسله، وعملوا بشرعه، والذين كانوا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم من الأمم السالفة من اليهود، والنصارى، والصابئين - وهم قوم باقون على فطرتهم، ولا دينٍ مقرّرٍ لهم يتبعونه - هؤلاء جميعاً إذا صدّقوا بالله تصديقاً صحيحاً خالصاً، وبيوم البعث والجزاء، وعملوا عملاً مرضياً عند الله، فتواهم ثابت لهم عند ربهم، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمر الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من أمور الدنيا. وأما بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، خاتماً للنبيين والمرسلين إلى الناس كافة، فلا يقبل الله من أحد ديناً غير ما جاء به، وهو الإسلام.²

المثال الرابع:

و فيه نفي التهم عن الأنبياء صلوات الله و سلامه عليهم فيما ورد في بعض الآيات، والتي قد يظهر لبعض الناظرين فيها ما يوقع في خطأ في فهمها و مثال ذلك قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَدَا التُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87]. فقوله عزوجل: " أن لن نقدر عليه" لا يقصد بها القدرة و انما يقصد بها التضييق عليه كما ورد في كتب التفسير نحو: "...ولا يصح قول من قال مغاضباً لربه ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي ظن أن [لن] نضيق عليه ، فهو من معنى قوله قدر عليه رزقه ، وقيل : هو من القدر والقضاء : أي ظنّ أن لن نضيق عليه بعقوبة ، ولا يصح قول من قال : إنه من القدرة { فنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ } قيل هذا الكلام محذوف؛ لبيانه في غير هذه الآية ، وأنه لما خرج ركب السفينة فرمي في البحر فالتقمه الحوت؛ ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ ،

1 أبي الفداء إسماعيل بن كثير، (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم: 517/26.

2 مجموعة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، مجمع الملك فهد: 10/1.

وهي ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت ، ويحتمل أنه عبر بالظلمة عن بطن الحوت ، لشدة ظلمته كقوله : { وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ } [البقرة : 17] { أَنْ لَأِ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } أن مفسرة أو مصدرية على تقدير نادى بأن ، والظلم الذي اعترف به كونه لم يصبر على قومه وخرج عنهم { وَبَحَيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ } يعني من بطن الحوت وإخراجه إلى البر { وكذلك نُجِّي الْمُؤْمِنِينَ } يحتمل أن يكون مطلقاً أو لمن دعا بدعاء يونس ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعوة أخي يونس ذي النون ما دعا بها مكروب إلا استجيب له » .¹

المثال الخامس:

و موضوع الشفاعة من مواضع العقيدة و هو غيب محض كثر الكلام قديماً وحديثاً حول قضية الشفاعة، وأنكر بعضهم وقوعها يوم القيامة، واستشهد لإنكاره بآيات من القرآن الكريم ذاته، يقول ابن حزم -رحمه الله-: «احتج المانعون بقول الله عز وجل: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: 48]، ويقول عز وجل: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: 19]، ويقول تعالى: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِي يَوْمَ لَا يَتَّبِعُ فِيهِ وَلَا حُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: 254]...، قال أبو محمد: قول من يؤمن بالشفاعة أنه لا يجوز الاقتصار على بعض القرآن دون بعض، ولا على بعض السنن دون بعض، ولا على القرآن دون بيان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي قال له ربه عز وجل: ﴿لِلنَّبِيِّ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: 44]، وقد نص الله تعالى على صحة الشفاعة في القرآن فقال تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مریم: 87]، فأوجب -عز وجل- الشفاعة لمن اتخذ عنده عهداً بالشفاعة، وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: 109]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: 23]؛ فنصَّ تعالى على أن الشفاعة يوم القيامة تنفع عنده -عز وجل- ممن أذن له فيها ورضي قوله، ولا أحد من الناس أولى بذلك من محمد -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنه أفضل ولد آدم -عليه السلام-.

1 ابن جزري، التسهيل لعلوم التنزيل: 1/1095.

فقد صحّت الشفاعة بنص القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وصحّت بذلك الأخبار المتواترة بنقل الثقات لها؛ فصحّ يقيناً أن الشفاعة التي أبطلها الله - عزوجل- هي غير الشفاعة التي أثبتها -جل و علا -، وإذ لا شك في ذلك فالشفاعة التي أبطل - عزوجل- هي الشفاعة للكفار الذين هم مخلّدون في النار، قال تعالى: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِنَا﴾ و﴿لَا يُخَفِّضُ عَلَيْهِمْ فِيْمُوتُوا﴾ [فاطر: 36]، نعوذ بالله منها¹.

فمن هذا المثال نرى أن المنكرين للشفاعة قد أتوا إلى الآيات التي تنفي الشفاعة فضربوا بها تلك التي تُثبتها، وقضوا بنفي الشفاعة مطلقاً، ولو أنصفوا لجمعوا الآيات بعضها إلى بعض، وتدبّروا في سياق هذه وسياق تلك، وعلموا أنّ النفي إنما ورد في شأن الكافرين، وأنّ إثباتها إنما هو للمؤمنين. لكن النظرة الجزئية غالباً ما تخدع صاحبها، فإذا به يرى من الحقيقة جانباً وتخفى عليه جوانب عديدة، ويظهر له شيء وتغيب عنه أشياء.

فالغلط إنما يأتي من حصر مجال النظر، وقصر الاطلاع على بعض الآيات دون بعض، فأما إذا ضُمَّت أطراف معانيه وجمّعت متفرقاته، ونُظِر فيه ككلٍّ واحد متكامل، فحينها يرى الناظر فيه والدارس له أن المعنى القرآني يُتمم بعضه بعضاً ولا يناقض ولا ينقض بعضه بعضاً. يقول د. محمد عبد الله دراز: «فعندما نريد أن نقدّر جمال لوحه مرسومة، لا ينبغي أن نحصر نظرتنا في جزء ضيق منها، حيث لا نجد إلا ألواناً متنوعة تتجاور أو تتنافر أحياناً؛ بل يجب أن نرجع قليلاً إلى الوراء؛ ليتسع مجال الرؤية ونحيط بالكل في نظرة شاملة تستطيع وحدها أن تلاحظ التناسق بين الأجزاء والتوافق في التراكيب»².

فلا يخفى ضرورة السعي إلى تصحيح الفهم لمراد الله -عز وجل- من كلامه، وتجنّب أسباب الخطأ في فهمه، وقد تبينّ مما سبق بعض هذه الأسباب التي يقع بها الغلط في فهم معاني القرآن الكريم، والتي جاءت على سبيل التمثيل لا الحصر، مع التمثيل لكلّ منها؛ نصيحة لكتاب الله ولعامّة المسلمين، وهي من أسباب التوفيق لحسن الفهم عن الله تبارك وتعالى.

1 الامام بن حزم الظاهري الاندلسي، الفصل في الملل والأهواء النحل: 4/53.

2 عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم: 119.

3-خلق أفعال العباد عند المعتزلة:

في قول الله سبحانه و تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصفات:96]

لقد ذهب المعتزلة في الاستدلال على معتقدهم في خلق أفعال العباد و هو الأصل الثاني من أصولهم الخمسة، و يسمونه مبدأ العدل فالافعال عندهم من كسب أيديهم و انها ليست مخلوقة من قبل الله وأن ما يصدر عن العبد من أفعال انما مبدأه من العبد نفسه و انه خالق أفعاله. وأما عموم المسلمين فمذهبهم ظاهر في الآية كما جاء في التفاسير.

ولذلك فإن القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ يقول: "... وقوله ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل إبراهيم لقومه: والله خلقكم أيها القوم وما تعملون. وفي قوله ﴿ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ وجهان: أحدهما: أن يكون قوله "ما" بمعنى المصدر، فيكون معنى الكلام حينئذ: والله خلقكم وعملكم. والآخر أن يكون بمعنى "الذي"، فيكون معنى الكلام عند ذلك: والله خلقكم والذي تعملونه: أي والذي تعملون منه الأصنام، وهو الخشب والنحاس والأشياء التي كانوا ينحتون منها أصنامهم. وهذا المعنى الثاني قصد إن شاء الله قتادة بقوله: الذي حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ : بِأَيْدِيكُمْ¹ و من هذا التفسير يظهر أن البعض جعل "ما" مصدرية فتكون أفعال العباد مخلوقة و لا اختيار للعبد فيها و هي عقيدة المعتزلة، استنادا لمبدأ العدل عندهم . "ولكن مذهب أهل السنة: وهو أن الله تعالى خلق العباد وخلق أفعالهم، وأعطاهم القدرة على الأفعال، فالأفعال أفعالهم تنسب إليهم، والعبد هو المصلي والصائم والبر والفاجر، فالأفعال أفعال العبد، والله تعالى خلق العبد بذاته وصفاته وأفعاله، كما قال: وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿ [الصفات:96]"² و الظاهر المراد هو ما وضحه قول قتادة رضي الله عنه.

1 محمد بن حنبل الطبري، جامع أحكام القرآن، (طبعة دار التربية و التراث):70/21.

2 عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، شرح عقيدة السلف وأصحاب الحديث:02/11.

2- قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ۖ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي الْكَنُوتِ فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَأُلْقِهِ اليمِّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ۗ وَالْقَيْثُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِمِّي وَلِثُصَّعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه:39].

فقوله عزوجل ذلك حين ألهمنا أمك: أن ضعي ابنك موسى بعد ولادته في التابوت، ثم اطرقيه في النيل، فسوف يلقيه النيل على الساحل، فيأخذه فرعون عدوي وعدوه. وألقيت عليك محبة مني فصرت بذلك محبوبًا بين العباد، ولتربى على عيني وفي حفظي. وفي الآية إثبات صفة العين لله - سبحانه وتعالى - كما يليق بجلاله وكماله.¹ فنلاحظ أن كلمة "عين" أضيفت لله عزوجل فلا يجوز صرفها عن ظاهرها المجرد التي نزلت به في كتاب الله تعالى وإنما تفسيرها قراءتها على النحو الذي جاءت به، دون إعمال التأويل فيها.

3- وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَمُ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَالِمٌ﴾ [البقرة:115].

فقد ورد في الآية ظاهر مجرد متعلق بصفة من صفات الله وهي: "الوجه" الذي نثبت له عزوجل ولا نصرفه إلى ظاهر مراد، مع ما في المعنى من دلالة الإحاطة سبحانه بخلقه. وقد جاء في التفسير الميسر: "....﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ خصهما بالذكر، لأنهما محل الآيات العظيمة، فهما مطالع الأنوار ومغارها، فإذا كان مالكا لها، كان مالكا لكل الجهات. ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾ وجوهكم من الجهات، إذا كان توليكم إياها بأمره، إما أن يأمركم باستقبال الكعبة بعد أن كنتم مأمورين باستقبال بيت المقدس، أو تؤمرون بالصلاة في السفر على الراحلة ونحوها، فإن القبلة حيثما توجه العبد أو تشبه القبلة، فيتحرى الصلاة إليها، ثم يتبين له الخطأ، أو يكون معذورا بصلب أو مرض ونحو ذلك، فهذه الأمور، إما أن يكون العبد فيها معذورا أو مأمورا. وبكل حال، فما استقبل جهة من الجهات، خارجة عن ملك ربه. ﴿فَمُ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَالِمٌ﴾ فيه إثبات الوجه لله تعالى، على الوجه اللائق به تعالى، وأن لله وجهها لا تشبهه الوجوه، وهو - تعالى - واسع الفضل والصفات عظيمها، عليم بسرائركم ونياتكم. فمن سعته وعلمه، وسع لكم الأمر، وقبل منكم المأمور، فله الحمد والشكر.²

فصفة الوجه ثابتة لله وهي ظاهر مجرد لا يحتمل صرفا لغير معنى آخر جديد دون داع، و

دون تكلف.

1 مجموعة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، مجمع الملك فهد: 314/1.

2 الشيخ محمد بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان، المحقق: عبد الرحمان بن معلا اللويحي، ط: 1 (2000م)، 5/1.

4- وقوله جل و علا: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَنْزِيلًا ءَايَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبِهتْ قُلُوبُهُمْ فَقَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: 117]. صفة الكلام ظاهر مجرد لا يشمل صرفه لغير ما جاء به القرآن. و منه قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي أُصْطَفِيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الأعراف: 144] فكلمة " كلامي " و هي فعل الكلام مضافا لله عزوجل و صفة الكلام ثابتة لله من غير تأويل و لا تمثيل و لا تشبيه و هي الظاهر المجرد الذي لا يصرف الى معنا آخر، كما جاء في التفسير الميسر قوله: "... قال الله يا موسى: إني اخترتك على الناس برسالاتي إلى خلقي الذين أرسلتك إليهم وبكلامي إياك من غير واسطة، فخذ ما أعطيتك من أمري ونهيي، وتمسك به، واعمل به، وكن من الشاكرين لله تعالى على ما آتاك من رسالته، وخصك بكلامه..."¹

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 75]. فكلامه عزوجل ظاهر مجرد يفهم كما جاء في آياته دون تأويل أو صرف لغيره.

5- وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِمْ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: 180].
و جاء في سورة النحل: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [النحل: 60].

و في سورة الإسراء قوله تعالى:

﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: 110].
طه:

و في سورة طه قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ [طه: 05] و قد طال هذه الآية كثير من الجدل في معنى استوى فقد سئل عنها قديما و أجاب العلماء الربانيين بظواهرها المجرد دون الخوض في كيفية الاستواء، قال الامام مالك حين سئل عن معنى الاستواء كما أورد الذهبي :

1 مجموعة من العلماء وأساتذة التفسير، (التفسير الميسر)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف: 105/3.

" و صح عن مالك أنه قال: الاستواء معلوم و الكيف مجهول " ¹ و البعض من العلماء نسأل لهم المغفرة و الرحمة تأولوها فصرفوها إلى ظاهر مراد فقالوا بالقدرة و القوة و علو المنزلة و غيرها. وأسماء الله الحسنى وصفاته العلى تكررت في القرآن الكريم كثيرا ولكل صفة أو اسم تعلق بالمعنى الخاص بالآية التي وردت فيها وبالسياق العام لها نحو:

الشعراء:

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: 220]. فصفة السمع ظاهر مجرد نفهم منها ان الله سمع لكن ليس كمثل سمعه شيء.

ومن بعض ما جاء في التأويلات الباطلة عند أصحاب الفرق الضالة في تأويل صفة " العلو " في هذه الآيات:

1- في قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ [مريم: 30].

2- في قوله تعالى: ﴿ وَآتَاهُ فِي أُمَّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِي حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف: 07]

يزعم الشيعة "الاثني عشرية" أن كلمة "العلي وعليا" وهي صفات دلت أن المراد منها اسم علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما غالوا فيه حتى كذبوا على آيات الله و أولوها تأويلات باطلة فاسدة، تعالى الله عما يقولون وكبرت كلمات تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا. و قد ورد في أحد كتبهم هذا الافتراء: "في كتاب (ألقاب الرسول) : قال: (...وبالإسناد عن محمد بن أبي ثلج، نا يوسف بن موسى العطار، عن وكيع بن الجراح الجناح، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن ابن عباس: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: (قال لي ربي تبارك وتعالى: إني أنا العلي الأعلى، اشتقت اسم علي من اسمي فسميته: علياً، ثم أنزل عليّ بعقب ذلك: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾...".²

كما استدلوا على أن "الصراط المستقيم" في سورة الفاتحة أن المراد به علي بن ابي طالب رضي الله عنه وبرأه من افتراءهم كما جاء في سورة الزخرف التي أوردنا.

1 شمس الدين الذهبي، (ت:748هـ)، تذكرة الحفاظ/1/155.

2-الحسكاني، شواهد التنزيل، ج: 1، ص: 463، رقم الحديث: (488).

ولولا الحاجة لكشف ترهاتهم لما أوردنا مثل هذا الكفر والإفك، ولكن إذا لم يكن غير الأُسنة مركبا فما حيلة المضطر إلا ركوها.

وأما الأفعال:

ففي قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر:22]. فالمراد بالجيء هو الجيء حقا لكنه بما يليق بالله سبحانه كما ورد في المختصر في التفسير هذا القول: "وجاء ربك - أيها الرسول - للفصل بين عبادته، وجاءت الملائكة مصطفىين صفوفاً.
* من فوائد الآيات: ...

• ثبوت الجيء لله تعالى يوم القيامة وفق ما يليق به، من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل.¹

الفتح:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۖ فَمَنْ تَكَثَّرَ فَأِنَّمَا يَتَكَثَّرُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾ [الفتح: 10]. فالظاهر المراد أن لله يد ليست كمثلته شيء ولا شبيهه. و في قوله تعالى في سورة ص: ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي ۖ أَسْتَكْبَرْتَ ۖ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ [ص: 75]

الزمر:

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: 67]. فالظاهر من الآية أن لله يمين و هي صفة مثبتة في حقه سبحانه و تعالى. وكذلك قوله تعالى في سورة الحاقة: ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾ [الحاقة: 45].

الرحمن:

﴿ وَيَتَقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: 27] فالظاهر من الآية اثبات الوجه لله تعالى دون تأويل و لا تشبيه.

1 حسن أبو الاشبال الزهيري، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للألكائي 3/39.

هود:

﴿ وَاضْعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [هود: 37]. قال بن عباس: بعين الله ، ووحينا: بأمرنا¹

فكل ما ورد في هذه السور من أسماء الله وصفاته فهي محمولة على الظاهر المجرد من غير تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل. فالسميع اثبات صفة السمع والعلي اثبات صفة العلو وكذا العين والوجه فالظاهر المراد هو المجرد في ما جاء في أغلب صفات الباري سبحانه، ليس كمثلته شيء. ويمكن القول بأن الظاهر المراد في صفات الله سبحانه، قد تأولها البعض هربا من التشبيه مع استحالته عقلا ونقلا، والبعض عطلها وأثبتها أهل السنة لله دون تعطيل او تشبيه كما عمد لذلك الصحابة رضوان الله عليهم، وما ورد عن بن عباس رضي الله عنه في صفة الوجه يقطع طريق القول بالتأويل في صفات الخالق سبحانه، و الله أعلى و أعلم.

1- ما تعلق بأسباب النزول: وفيها ما تعلق بأسباب نزول الآيات، حيث يأتي سبب النزول مرجحا للمعنى الظاهر المجرد في الآية فلا ينازعه معنا آخر إلا ما ورد، ومنه هذا المثال:

2- قوله تعالى: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا أَتَيْنَاءَ وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ [الليل: 19-21]

فما جاء في الأثر من سبب نزولها، ظاهر مجرد لا يحتمل معنا خفي، بل هو متعلق بحادثة لا تحتمل التأويل إلى غيرها كما ذكر القرطبي في تفسيره، حيث جاء في تفسير قوله تعالى: "وما لأحد عنده من نعمة تجزى أي ليس يتصدق ليجازى على نعمة، إنما يتبغى وجه ربه الأعلى، أي المتعالي ولسوف يرضى أي بالجزاء. فروى عطاء والضحاك عن ابن عباس قال: عذب المشركون بلالا، وبلال يقول أحد أحد فمر به النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: "أحد - يعني الله تعالى - ينجيك" ثم قال لأبي بكر: "يا أبا بكر إن بلالا يعذب في الله" فعرف أبو بكر الذي يريد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فانصرف إلى منزله، فأخذ رطلا من ذهب، ومضى به إلى أمية بن خلف، فقال له:

1 محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن: 308/15.

أتبعني بلالا؟ قال: نعم فاشترته فأعتقه. فقال المشركون: ما أعتقه أبو بكر إلا ليد كانت له عنده فنزلت وما لأحد عنده أي عند أبي بكر من نعمة، أي من يد ومنة، تجزى بل ابتغاء بما فعل وجه ربه الأعلى. وقيل: اشترى أبو بكر من أمية وأبي بن خلف بلالا، بردة وعشر أواق، فأعتقه الله، فنزلت: إن سعيكم لشتى. وقال سعيد بن المسيب: بلغني أن أمية بن خلف قال لأبي بكر حين قال له أبو بكر: أتبعنيه؟ فقال: نعم، أبيعته بنسطاس، وكان نسطاس عبدا لأبي بكر، صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش، وكان مشركا، فحمله أبو بكر على الإسلام، على أن يكون له ماله، فأبى، فباعه أبو بكر به. فقال المشركون: ما فعل أبو بكر بلال هذا إلا ليد كانت لبلال عنده فنزلت وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء أي لكن ابتغاء فهو استثناء منقطع فلذلك نصبت. كقولك: ما في الدار أحد إلا عمرا. ويجوز الرفع. وقرأ يحيى بن وثاب إلا ابتغاء وجه ربه بالرفع، على لغة من يقول: يجوز الرفع في المستثنى. وأنشد في اللغتين قول بشر بن أبي خازم:

أضحت خلاء قفاراً لا أنيس بها *** إلا الجآذر والظلمان تختلف¹.

3- ما تعلق بالألفاظ: والقصد فيه ما جاء من الألفاظ في الآيات والتي لا مراد لها إلا ما جاء مجرد من أي معنا خفي، وإنما عنت المعنى المجرد كما جاء في الذهن لأول وهلة وهنا نصوغ أمثلة من كتاب الله تبيين ذلك:

1- في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 73].

فكلمة اضربه من فعل ضرب يضرب فلا معنى له غير ذلك كما جاء في كتب التفسير كما ذكر القرطبي في تفسيره: قيل: باللسان لأنه آلة الكلام. وقيل: بعجب الذنب، إذ فيه يركب خلق الإنسان. وقيل: بالفخذ. وقيل: بعظم من عظامها، والمقطوع به عضو من أعضائها، فلما ضرب به حيي وأخبر بقاتله ثم عاد ميتا كما كان².

1 أبو عبد الله محمد بن شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المحقق: هشام سمر البخاري، (دار عالم الكتب: الرياض)، ط(1423هـ-2003م)، ج:20، ص:89.

2 أنظر تفسير القرطبي، ص:457.

2- و في قوله تعالى: ﴿وَأَمَدَدْتُهُمْ بِفَاكِهِةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ﴾ [الطور 22-23]

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَمَدَدْنَاَهُمْ بِفَاكِهِةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (22) يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ (23)﴾ [الطور: 23].

يقول تعالى ذكره: وأمَدَدْنَا هؤَلاءِ الذين آمنوا بالله ورسوله، واتبعتهم ذريتهم بإيمان في الجنة، بفاكهة ولحم مما يشتهون من اللحمان . وقوله: ﴿يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ يقول: يتعاطون فيها كأس الشراب، ويتداولونها بينهم، كما قال الأخطل :

نَازَعْتُهُ طَيِّبَ الرَّاحِ الشَّمُولِ وَقَدْ *** صَاحَ الدَّجَاجُ وَحَانَتْ وَقَعَةُ السَّارِي.

وفي (اللسان: نزع) : ومنازعة الكأس: معاطاتها؛ قال الله عز وجل (يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأتيم) : أي يتعاطون. والأصل فيه: يتجادبون، ويقال: نازعني فلان بنانه: أي صافحني. والمنازعة المصافحة؛ قال الراعي:

يُنَازِعُنَا رَخْصَ الْبِنَانِ كَأَنَّمَا *** يُنَازِعُنَا هُدَابَ رِيْطِ مُعْصِدِ

المنازعة: المجاذبة في الأعيان والمعاني¹

المطلب الثاني: ما تعلق بالأحكام الفقهية:

وهي الأحكام التي انزلها الله في كتابه وظاهرها المجرد هو المقصود لا العدول عنها إلى معان أخرى وغالب الأحكام وردت في كتاب الله بظاهرها المجرد الذي يسهل فهمه وبالتالي يكون الوصول إلى تطبيقه يسيرا وليس للعبد فيه يد في تغييره ولأن مراد الله فيه واضح فتصان الشريعة وأحكامها من أفهام وممارسات لا يحصل بها المأمول من فعلها، وشريعة الله وأحكامه من خاصة الدين التي تقتضي الانقياد والامتثال. وبها اختلف الإسلام عما سبق من الشرائع وتميز، فالأولى أن تقام على ظاهرها المجرد الا ما كان من تبين من الله في كتابه من دقيق الأحكام وتكفله بتوضيحه كالفرائض في الميراث أو ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم من خلال الأحاديث الصحيحة والآثار الموثقة. ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم:

¹أبو الفضل جمال الدين بن منظور، (ت: 711هـ)، لسان العرب، ج:7، ص: 351.

1- قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُورَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَغْزِرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾. [النساء: 34] فإنه تعالى يرشد الأزواج إلى كيفية علاج الزوجة إذا نشزت أي ترفعت على زوجها ولم تؤدي إليه حقوقه الواجبة له بمقتضى العقد بينهما، فيقول ﴿وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُورَهُنَّ﴾ أي ترفعهن بما ظهر لكم من علامات ودلائل كأن يأمرها فلا تطيع ويدعوها فلا تجيب وينهاها فلا تنتهي، فاسلكوا معهن السبيل الآتي: ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ أولاً، والوعظ تذكيرها بما للزوج عليها من حق يجب أدائه، وما يترتب على إضاعته من سخط الله تعالى وعذابه، وبما قد ينجم من إهمالها في ضربها أو طلاقها فالوعظ ترغيب بأجر الصالحات القانتات، وترهيب من عقوبة المفسدات العاصيات فإن نفع الوعظ فيها وإلا فالثانية وهي أن يهجرها الزوج في الفراش فلا يكلمها وهو نائم معها على فراش واحد وقد أعطاها ظهره فلا يكلمها ولا يجامعها وليصبر على ذلك حتى تتوب إلى طاعته وطاعة الله رهماً معاً وإن أصرت ولم يجد معها المهجران في الفراش، فالثالثة وهي أن يضربها ضرباً غير مبرح لا يشين جارحة ولا يكسر عضواً. وأخيراً فإن هي أطاعت زوجها فلا يحل بعد ذلك أن يطلب الزوج طريقاً إلى أذيتها لا بضرب ولا بهجران لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ﴾ أي الأزواج ﴿فَلَا تَبْغُوا﴾ أي تطلبوا ﴿عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ لأذيتهن باختلاق الأسباب وإيجاد العلل والمبررات لأذيتهن. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ تذييل للكلام بما يشعر من أراد أن يعلو على غيره بما أوتي من قدرة بأن الله أعلى منه وأكبر فليخش الله وليترك من علوه وكبريائه¹.

2- قوله تعالى أيضاً في أحكام القتل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةً وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوًّا لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 92].

فالأحكام بها واضحة جلية يمكن لكل من قرأها ان يفهمها بظاهرها المجرد و قد اخترت ما اورده الشيخ العلامة أبو بكر جابر الجزائري من تفسيره أيسر التفاسير قوله: "... ما ذكر تعالى في الآيات السابقة قتال المنافقين متى يجوز ومتى لا يجوز ناسب ذكر قتل المؤمن الصادق في إيمانه خطأ وعمداً وبيان حكم ذلك فذكر تعالى في الآية الأولى [92] أنه لا ينبغي لمؤمن

1 العلامة أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ص: 259.

أن يقتل مؤمناً إلا في حال الخطأ أما في حال العمد فلا يكون ذلك منه ولا يتأتى له وهو مؤمن لأن الإيمان نور يكشف عن مدى قبح جريمة قتل المؤمن وما وراءها من غضب الله تعالى وعذابه فلا يقدم على ذلك اللهم إلا في حال الخطأ فهذا وارد وواقع، وحكم من قتل خطأ أن يعتق رقبة ذكراً كانت أو أنثى مؤمنة وأن يدفع الدية لأولياء القتيل إلا أن يتصدقوا بها فلا يطالبوا بها ولا يقبلونها والدية مائة من الإبل، أو ألف دينار ذهب، أو إثنا عشر ألف درهم فضة. هذا معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ فإن كان القتيل مؤمناً ولكن من قوم هم عدو للمسلمين محاربين فالواجب على القاتل تحرير رقبة مؤمنة لا غير، إذ لا تعطى الدية لعدو يستعين بها على حرب المسلمين وإن كان القتيل من قوم كافرين وهو مؤمن أو كافر ولكن بيننا وبين قومه معاهدة، على القاتل تحرير رقبة ودية مسلمة إلى أهله، فمن لم يجد الرقبة صام شهرين متتابعين فذلك توبته لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ عليمًا بما يحقق المصلحة لعباده حكيمًا في تشريعه فلا يشرع إلا ما كان نافعاً غير ضار، ومحققاً للخير في الحال والمآل، هذا ما دلت عليه الآية الأولى أما الثانية [93] فإنها بنيت حكم من قتل مؤمناً عمداً عدواناً، وهو أن الكفارة لا تغني عنه شيئاً لما قضى الله تعالى له باللعن والخلود في جهنم إذ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ إلا أن الدية أو القصاص لازمان ما لم يعف أولياء الدم فإن عفو عن القصاص ورضوا بالدية أعطوها وإن طالبوا بالقصاص اقتصوا إذ هذا حقهم وأما حق الله تعالى فإن القتل عبده خلقه ليعبده فمن قتله فالله تعالى رب العبد خصمه وقد توعدته بأشد العقوبات وأفظعها، والعياذ بالله تعالى وذلك حقه قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 93]...¹.

و في أحكام الميراث و الفرائض جاء الظاهر المجرد في قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّةِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ أَبَوَاهُ فَلِلْمُتَّكِلِ قِسْمٌ مِّمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ

1 الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ص: 289.

فَلَأُيَمِّهَ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنًا ؕ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَعْمًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿النساء: 11﴾.

هذه الآية الكريمة [11] ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ الخ والتي بعدها [12] وهي قوله تعالى ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ الخ نزلت لتفصيل حكم الآية [7] والتي تضمنت شرعية التوارث بين الأقارب المسلمين، فالآية الأولى [11] يسن تعالى فيها توارث الأبناء مع الآباء فقال تعالى ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ أي في شأن أولادكم ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ يريد إذا مات الرجل وترك أولاداً ذكورا وإناثا فإن التركة تقسم على أساس أن للذكر مثل نصيب الأنثيين فلو ترك ولداً وبنثاً وثلاثة دنانير فإن الولد يأخذ دينارين والبنث تأخذ ديناراً وإن ترك بنات اثنتين أو أكثر ولم يترك معهن ذكراً فإن للبنتين فأكثر الثلثين والباقي للعصبة إذ قال تعالى ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾. وإن ترك بنتاً واحدة فإن لها النصف والباقي للعصبة وهو معنى قوله تعالى ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾، وإن كان الميت قد ترك أبويه أي أمه وأباه وترك أولاداً ذكوراً أو إناثاً فإن لكل واحد من أبويه السدس والباقي للأولاد، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَلِأَبْوَاهِهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَوَالِدٌ﴾، و هكذا في ما بقي من الأحكام التي لا ظاهر لها الا ما ورد في الايات من صريح المعنى المتبادر. ولذا فاقسموا التركة كما علمكم بلا محاباة فإن الله تعالى هو القاسم والمعطي عليم بخلقه وبما ينفعهم أو يضرهم حكيم في تدبيره لشؤونهم فليفوض الأمر إليه، وليرض بقسمته فإنها قسمة عليم حكيم¹.

4- في قوله تعالى: ﴿وَأْتُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أُمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة:196] فالصوم في الآية هو الصوم الشرعي المعروف و لأنه متعلق بالإحكام فالظاهر المجرد له هو الأولى بالأخذ لا أن يتصور معنا مراد خفي كما ورد في التفسير الميسر: "...فمن كان منكم مريضاً، أو به أذى من رأسه يحتاج معه إلى الحلق -وهو مُحْرِمٌ- حلق، وعليه فدية: بأن يصوم ثلاثة أيام، أو يتصدق على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام، أو

1 الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ص: 241. باختصار وتصرف.

يذبح شاة لفقراء الحرم. فإذا كنتم في أمن وصحة: فمن استمتع بالعمرة إلى الحج وذلك باستباحة ما حُرِّم عليه بسبب الإحرام بعد انتهاء عمرته، فعليه ذبح ما تيسر من الهدى، فمن لم يجد هديًا يذبحه فعليه صيام ثلاثة أيام في أشهر الحج، وسبعة إذا فرغتم من أعمال الحج ورجعتم إلى أهليكم، تلك عشرة كاملة لا بد من صيامها. ذلك الهدي وما ترتب عليه من الصيام لمن لم يكن أهله من ساكني أرض الحرم، وخافوا الله تعالى وحافظوا على امتثال أوامره واجتناب نواهيه، واعلموا أن الله شديد العقاب لمن خالف أمره، وارتكب ما عنه زجر...¹

5- وقوله تعالى في حكم الظهار: ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة:04]. فحدود الله ظاهرة لا تحتاج ان يكنى عليها فظاهاها المجرد هو المقصود كما هو معلوم عند أصحاب الفقه و التفسير على حد سواء و ما جاء بيانه في التفاسير نحو "...فمن لم يجد رقبة يُعتقها، فالواجب عليه صيام شهرين متواليين من قبل أن يطأ زوجته، فمن لم يستطع صيام الشهرين لعذر شرعي، فعليه أن يطعم ستين مسكينًا -ممن لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم- ما يشبعهم، ذلك الذي بيناه لكم من أحكام الظهار؛ من أجل أن تصدقوا بالله وتتبعوا رسوله وتعملوا بما شرعه الله، وتتركوا ما كنتم عليه في جاهليتكم، وتلك الأحكام المذكورة هي أوامر الله وحدوده فلا تتجاوزوها، وللجاهدين بها عذاب موجه...².

6- و في صلاة الخوف وردت في سورة النساء قول الله تعالى: ﴿إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِزْبَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِزْبَكُمْ إِنَّ اللَّهَ آعَدَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (102)﴾ [النساء: 102].

وإذا كنت -أيها النبي- في ساحة القتال، فأردت أن تصلي بهم، فلتقم جماعة منهم معك للصلاة، وليأخذوا سلاحهم، فإذا سجد هؤلاء فلتكن الجماعة الأخرى من خلفكم في مواجهة عدوكم، وتتم الجماعة الأولى ركعتهم الثانية ويُسَلِّمون، ثم تأتي الجماعة الأخرى التي لم

1 مجموعة من العلماء وأساتذة التفسير، التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ص:210.

2 مجموعة من العلماء وأساتذة التفسير، التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ص:542.

تبدأ الصلاة فليأتوا بك في ركعتهم الأولى، ثم يكملوا بأنفسهم ركعتهم الثانية، وليحذروا من عدوهم وليأخذوا أسلحتهم. وَذَّ الْجَاهِدُونَ لَدِينِ اللَّهِ أَنْ تَغْلِبُوا عَنْ سِلَاحِكُمْ وَزَادَكُمْ؛ لِيَحْمِلُوا عَلَيْكُمْ حَمَلَةً وَاحِدَةً فَيَقْضُوا عَلَيْكُمْ، وَلَا إِثْمَ عَلَيْكُمْ حَيْثُذَ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ، أَوْ كُنْتُمْ فِي حَالٍ مَرِيضٍ أَنْ تَتْرَكُوا أَسْلِحَتَكُمْ، مَعَ أَخْذِ الْحِذْرِ. إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعَدَّ لِلْجَاهِدِينَ لَدِينِهِ عَذَابًا يُهَيِّنُهُمْ، وَيُجْزِيهِمْ.¹

وهي الأحكام الفقهية التي لها ظاهر مراد يستنبطه العلماء بالنظر والاجتهاد وربطها بما يتعلق بها من أسباب النزول ولا تدل عليه الآيات بشكل صريح وإنما يكون ظاهرها المراد هو المقصود بالتعامل معه وليس ظاهرها المجرد وسنورد أمثلة وردت في الكتاب العزيز يأتي فيها ما ذكرناه بحول الله:

* و في سورة المؤمنون قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ ابْتغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ [المؤمنون:

.]07.

في هذه الآية لا يظهر الظاهر المراد منها الا عند العودة الى التفاسير وكتب الفقه فليست الآية على إطلاق المعنى على ابتغاء كل ما وراء ذلك لان كلمة "وراء" مطلق يدخل فيه كل ما جاء وراء ذلك من أفعال أو غيرها ولكن المراد حدد بالتفسير وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وفهوم الصحابة الكرام لهذه الآية الكريمة. كما جاء في التفاسير نحو:

"...أي: التمس وطلب سوى الأزواج والولائد المملوكة، فأولئك هم العادون الظالمون المتجاوزون من الحلال إلى الحرام وفيه دليل على أن الاستمناء باليد حرام، وهو قول أكثر العلماء. قال ابن جريج: سألت عطاء عنه فقال: مكروه، سمعت أن قوماً يحشرون وأيديهم حبالى فأظن أنهم هؤلاء. وعن سعيد بن جبير قال: عذب الله أمة كانوا يعبتون بمذاكيرهم.² وهو الظاهر المراد من قوله فمن ابتغى وكذلك قوله: العادون. وهو حكم فقهي اجمع أغلب العلماء عليه سوى بعض الحنابلة الذين علقوا الخلوص اليه حالة الضرورة.

1 مجموعة من العلماء وأساتذة التفسير، التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ج: 5، ص: 95.

2 أبو محمد الحسين البغوي، معالم التنزيل، (دار طيبة للنشر والتوزيع)، ط: 4، ج: 5، ص: 410.

* في آل عمران قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [آل عمران: 130-131].

فقد جاء في أيسر التفاسير قول المفسر رحمه الله: لا تأكلون الربا: لا مفهوم للأكل بل كل تصرف بالربا حرام سواء كان أكلاً أو شرباً أو لباساً. الربا: لغة: الزيادة، وفي الشرع نوعان: ربا فضل وربا نسيئة ربا الفضل: يكون في الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح فإذا بيع الجنس بمثله يحرم الفضل أي الزيادة ويحرم التأخير، وربا النسيئة: هو أن يكون على المرء دين إلى أجل فيحل الأجل ولم يجد سداداً لدينه فيقول له أخربي وزد في الدين.

أضعافاً مضاعفة: لا مفهوم لهذا لأنه خرج مخرج الغالب، إذ الدرهم الواحد حرام كالألف، وإنما كانوا في الجاهلية يؤخرون الدين ويزيدون مقابل التأخير حتى يتضاعف الدين فيصبح أضعافاً كثيرة..... إن الله تعالى نادى عباده المؤمنين بعد أن خرجوا من الجاهلية ودخلوا في الإسلام بأن يتكروا أكل الربا وكل تعامل به فقال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ إذ كان الرجل يكون عليه دين ويحل أجله ولم يجد ما يسدد به فيأتي إلى دائته ويقول أخر ديني زد عليّ وهكذا للمرة الثانية والثالثة حتى يصبح الدين بعدما كان عشراً عشرين وثلاثين. وهذا معنى قوله أضعافاً مضاعفة، ثم أمرهم بتقواه عز وجل وواعدهم بالفلاح فقال عز وجل ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي كي تفلحوا بالنجاة من العذاب والحصول على الثواب وهو الجنة¹.

2- وفي قوله تعالى في سورة النور: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: 60].

أن كلمة يضعن ثيابهن ليس المجرد من وضع الثياب و إنما التخفف منها إذ انهن من القواعد اللاتي لا يرجون نكاحاً و المراد به كما ذكر أهل التفسير انه الجلباب و أما الدرع و الخمار فليس المقصود بالوضع و قد جاء في تفسير بن كثير : قال ابن مسعود [في قوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ قال: الجلباب، أو الرداء: وكذا روي عن ابن عباس، وابن عمر،

1 أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1424هـ)، ط: 5، ص: 375.

ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبي الشعثاء، وإبراهيم النخعي، والحسن، وقتادة، والزهري، والأوزاعي، وغيرهم.

وقال أبو صالح: تضع الجلباب، وتقوم بين يدي الرجل في الدرع والخمار. وقال سعيد بن جبير وغيره، في قراءة عبد الله بن مسعود: "إن يضعن من ثيابهن" وهو الجلباب من فوق الخمار فلا بأس أن يضعن عند غريب أو غيره، بعد أن يكون عليها خمار صفيق¹.

3- و في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ إِذَا ارْتَضَيْنَ لِمَنْ أَرَادَنَّهُنَّ الْوَالِدَاتُ وَالْوَالِدَاتُ لَكُمْ قَوْلٌ مِمَّا تَقُولْنَ وَأَنْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ لَا تَكْلَفُنَّ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَأَتَّضِرَّ وَلَدُهَا وَلَا بَوْلُهَا لَكُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَا يُولَدُ لَهُمْ بَوْلًا لَمْ يُولَدُوا عَلَيْهِمْ أَرَادَ الْوَالِدَاتُ أَنْ يُرَضِعْنَ بَوْلَهُنَّ فَأَرْادَ أَنْ يَرْضَعْنَ بَوْلَهُنَّ وَأَنْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: 233].

فكلمة "فصلاً" جاءت بمعنى الفطام و ليس كما قد يفهم منها فصال الرجل عن زوجته بالطلاق و قد جاء في تفسير بن كثير رحمه الله قوله: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِمَّنَّهَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ أي: فإن اتفقا والدا الطفل على فطامه قبل الحولين، ورأيا في ذلك مصلحة له، وتشاورا في ذلك، وأجمعا عليه، فلا جناح عليهما في ذلك، فيؤخذ منه: أن انفراد أحدهما بذلك دون الآخر لا يكفي، ولا يجوز لواحد منهما أن يستبد بذلك من غير مشاورة الآخر، قاله الثوري وغيره، وهذا فيه احتياط للطفل، والزام للنظر في أمره، وهو من رحمة الله بعباده، حيث حجر على الوالدين في تربية طفلهما وأرشدتهما إلى ما يصلحه ويصلحهما كما قال في سورة الطلاق: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَارْتَضَيْنَهُنَّ لَكُمْ جُورُهُنَّ وَأُجُورُهُنَّ وَأَتَمَّرُوا لَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتْرٌ لِلَّهِ الْخَيْرُ﴾ [الطلاق: 06]².

4- وجاء في سورة الأعراف قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلًا خَفِيًّا فَامْرَأَتْ بِهِ فَلَمَّا أَتَمَّتْ دَعَا إِلَهَ رَبِّهَا لِنُفْسٍ صَالِحَةٍ لِيُكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا آتَتْهُمَا صَالِحًا جَعَلَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: 189-190]

في الآية ظاهر مراد من قوله تغشاهما، وقوله: فمرت به، فليس المعنى هو ما ظهر من أول ما قدح في الذهن من اللفظ. فقد يفهم المعنى على غير مقصوده و يوضح المعنى المقصود

1 أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم: 83/6.

2 أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم: 635/1.

ما ورد في تفسير بن كثير حيث جاء فيه: "... ينبه تعالى على أنه خلق جميع الناس من آدم، عليه السلام، وأنه خلق منه زوجه حواء، ثم انتشر الناس منهما، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:13] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ الآية [النساء:01-02]. وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ أي: ليألفها ويسكن بها، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم:21] فلا ألفة بين زوجين أعظم مما بين الزوجين؛ ولهذا ذكر تعالى أن الساحر ربما توصل بكيده إلى التفرقة بين المرء وزوجه. ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ أي: وطئها ﴿حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا﴾ وذلك أول الحمل، لا تجد المرأة له الماء، إنما هي النطفة، ثم العلقة، ثم المضغة. وقوله: ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ قال مجاهد: استمرت بحمله. وروي عن الحسن، وإبراهيم النخعي، والسدي، نحوه. وقال ميمون بن مهران: عن أبيه استخفته. وقال أيوب: سألت الحسن عن قوله: ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ قال: لو كنت رجلا عربيا لعرفت ما هي. إنما هي: فاستمرت به. وقال قتادة: ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ واستبان حملها. وقال ابن جرير: معناه؛ استمرت بالماء، قامت به وقعدت. وقال العوفي، عن ابن عباس: استمرت به، فشكت: أحملت أم لا. ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾ أي: صارت ذات ثقل بحملها. وقال السدي: كبر الولد في بطنها. ﴿دَعُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: صارت أي: بشرا سويا، كما قال الضحاک، عن ابن عباس: أشفقا أن يكون بهيمة. وكذلك قال أبو البختري وأبو مالك: شفقنا ألا يكون إنسانا.

وقال الحسن البصري: لئن آتيتنا غلاما...¹.

1- قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكُمْ خِزْيَانُ لَكُمْ فَاْتُوا خِزْيَانَكُمْ أَنِّي شِدَّةٌ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوَةٌ وَيَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:223].

1 أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي محمد سلامة، (دار الطيبة للنشر)، ط:2،

فكلمة "أنى شئتم" ظاهرها المجرد ليس هو ظاهرها المراد، فلا يستقيم هنا الحكم بما جاء به اللفظ من معنى لغوي واسع و لكن له تخصيص بمعنى لا يعارض ما جاءت به الأحكام الواردة في السنة الصحيحة فقد جاء في التفاسير: "... قوله أنى شئتم ليس بمعنى أين شئتم وإنما كيف شئتم و لكن في موضع الحرث و المقصود به موضع الولد و قد جاء في تفسير بن جزي قوله: "... ﴿حَرَثُ لَكُمْ﴾ أي موضع حرث، وذلك تشبيه للجماع في إلقاء النطفة وانتظار الولد: بالحرث في إلقاء البذر وانتظار الزرع ﴿أَنَّى شِئْتُمْ﴾ أي: كيف شئتم من الهيئات أو من شئتم، لا أين شئتم؛ لأنه يوهم الإتيان في الدبر، وقد افترى من نسب جوازه إلى مالك، وقد تبرأ هو من ذلك وقال: إنما الحرث في موضع الزرع ﴿وَقَدِّمُوا لَأَنفُسِكُمْ﴾ أي الأعمال الصالحة¹.

فالظاهر المراد هو المقصود من الكلمتين " حرثكم " وهو موضع الولد، و "أنى" أي كيفما شئتم.

المطلب الثالث: ما تعلق بالقصص القرآني والنحو والبلاغة:

لقد ورد في القرآن الكريم كثير من القصص تناولت أخبار الأمم السابقة، وحوث هذه القصص العبر و الحكم البالغة و البراهين الباهرة على وحدانية الله عزوجل، وأخبار ما نصر الله به الأنبياء و الاصفياء و الأولياء و كذا مصير الكافرين و المنافقين و الظالمين، و لا شك ان معرفة الظاهر المراد في القصص يزيل الغشاوة عن فهمها، ويوضح ما كان غامضا من ملابسات وقائعها، وكذلك ما ارتبط بالنحو والبلاغة و كلاهما له علاقة وثيقة بفهم الظاهر المراد والظاهر المجرد من خلال التراكيب النحوية و البلاغية، و التي لا يستغني عنها كل دارس لمعاني القرآن الكريم.

1- ما تعلق بالقصص القرآني:

1- في قصة نبي الله سليمان عليه السلام التي جاءت في سورة النمل، في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: 38].

1 محمد بن أحمد بن جزى الكلبي الغرناطي، (ت: 740هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل: 1/112.

و قد جاء في معنى: ﴿يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ أن معناها طائعين خاضعين وقد فهم كذلك مسلمين أي موحدين و الأرجح الأول و هو الظاهر المراد لان السياق يدل عليه أكثر من ثانيه، فما ذهب إليه بعض المفسرون من أن سليمان أراد عرشها قبل أن تسلم لأنها إن أسلمت لم يحل له و هذا معنا بعيد من جهتين: أن سليمان قد آتاه الله خيرا مما آتاها كما ذكرت الآيات السابقة و الثاني أن الغنائم لم تحل إلا للنبي محمد صلى الله عليه و سلم و لم تحل لنبي قبله. كما جاء في أغلب التفاسير ومنها: تفسير بن كثير، وتفسير الطبري، وبن عباس رضي الله عنه. "... أما الذي هو أولى التأويلين في قوله ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ بتأويله، فقول ابن عباس الذي ذكرناه قبل، من أن معناه طائعين، لأن المرأة لم تأت سليمان إذ أتمته مسلمة، وإنما أسلمت بعد مقدمها عليه وبعد محاورة جرت بينهما ومساءلة..."¹

2- و قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعْزُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾

[لفرقان: 27].

ففي الآية حكاية عن واقعة حدثت لأحد مشركي مكة وبها يعلم الظاهر المراد من قوله تعالى يعرض الظالم على يديه فقد قال السهيلي: ويوم يعرض الظالم على يديه هو عقبة بن أبي معيط، وكان صديقا لأمية بن خلف الجمحي ويروي لأبي بن خلف أخي أمية، وكان قد صنع وليمة فدعا إليها قريشا، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبي أن يأتيه إلا أن يسلم. وكره عقبة أن يتأخر عن طعامه من أشرف قريش أحد فأسلم ونطق بالشهادتين، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكل من طعامه، فعاتبه خليله أمية بن خلف، أو أبي بن خلف وكان غائبا . فقال عقبة: رأيت عظيما ألا يحضر طعامي رجل من أشرف قريش. فقال له خليله: لا أرضى حتى ترجع وتبصق في وجهه وتطأ عنقه وتقول كيت وكيت. ففعل عدو الله ما أمره به خليله ; فأنزل الله عز وجل : ويوم يعرض الظالم على يديه . قال الضحاك : لما بصق عقبة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع بصاقه في وجهه وشوى وجهه وشفثيه ، حتى أثر في

¹ محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن: 463/19.

وجفه وأحرق خديه ، فلم يزل أثر ذلك في وجهه حتى قتل . وعضه يديه: فعل النادم الحزين لأجل طاعته خليله. يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول في الدنيا، يعني طريقا إلى الجنة¹.
و في سورة المائدة قول الله عزوجل: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ تُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤفَكُونَ﴾ [المائدة: 78].

والظاهر المراد من قوله تعالى كانا يأكلان الطعام لازمان لا ينفكان عنهما: أولا لازم قضاء الحاجة فعبر عنه بالكناية بلازم أكل الطعام الذي من مقتضاه ما ذكرنا وهو من خصائص البشر وليس من خصائص الأرباب أو الإله. والثاني هو الحاجة للطعام لان بدونه يقع الوهن والعجز والضعف وهذه كذلك من صفات البشر لا صفات الإله. وقد جاء في تفسير الطبري قوله: " ...وقوله " : كانا يأكلان الطعام " ، خبر من الله تعالى ذكره عن المسيح وأمه: أنهما كانا أهل حاجةٍ إلى ما يَعدُّوهما وتقوم به أبدانهما من المطاعم والمشارب كسائر البشر من بني آدم، فإنَّ من كان كذلك، فغيرُ كائنٍ إلهًا، لأنَّ المحتاج إلى الغذاء قوامه بغيره. وفي قوامه بغيره وحاجته إلى ما يقيمه، دليلٌ واضحٌ على عجزه. والعاجز لا يكون إلا مربوبًا لا ربًّا.²

و في هذه الآية من قصة قارون ، قال له قومه: ﴿لَا تَفْرُخْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص:76] المراد بذلك: الفرح الذي يصحبه الكبر، والبغي على الناس، والعدوان، والبطر، هذا المنهي عنه فرح البطر والكبر.

أما الفرح بفضل الله وبرحمته ونعمه وإحسانه، هذا مشروع، كما قال الله جل و علا: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:58] فالمؤمن يفرح أن الله هداه للإسلام، وأن الله أعانه على صلاة الجماعة، وأن الله أعانه على بر والديه، وصلة أرحامه، وأعانه على فعل الخير، هذا مشروع، ينبغي له أن يفرح بذلك، وأن يسر، بل يجب عليه أن يفرح بذلك، ويغتبط بهذا، ويحمد الله على ذلك.

1 أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، (ت: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن:25/13.

2 أنظر نفس المصدر:250/6.

أما الفرع المذموم، فهو الفرع الذي يصحبه الكبر والتعاضم، والبطر، واحتقار الناس، هذا هو المذموم¹.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: 19]

فالظاهر المجرد في كلمة "اقصد" هو من القصد أو الاقتصاد في المشي و لكن المعنى المراد هو ما ورد في التفاسير كما جاء في تفسير الطبري إذ يقول: وتواضع في مشيك إذا مشيت، ولا تستكبر، ولا تستعجل، ولكن اتعد.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، غير أن منهم من قال: أمره بالتواضع في مشيه، ومنهم من قال: أمره بترك السرعة فيه. ذكر من قال: أمره بالتواضع في مشيه: ... ذكر من قال نهاه عن السرعة². وحيث أن النهي عن التكبر و أمره بالتواضع يدخل فيه الاقتصاد في سرعة مشيه إذا لم تدع الحاجة إليه، فيكون الظاهر المراد الاقوى نهيه عن التكبر و قد جاء في سورة الإسراء حكاية على التواضع في المشي: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَتَّبِعَ الْأَجْبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: 37] و جاء في التفسير الميسر قوله: "...ولا تمش في الأرض محتالاً متكبراً؛ فإنك لن تخرق الأرض بمشيك عليها بهذه الصفة، ولن تبلغ الجبال طولاً بخيلائك وفخرك وكبرك."³

قوله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفَ رَأَيْتَهُمْ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَخْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: 19].

أي: بخلاء بالمودة، والشفقة عليكم. وقال السدي: أشحة عليكم أي: في الغنائم. فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت أي: كناية عن شدة خوفه وجزعه، وهكذا خوف هؤلاء الجبناء من القتال فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أي: فإذا كان الأمن، تكلموا كلاماً بليغاً فصيحاً عالياً، وادعوا لأنفسهم

1 الامام بن باز، موقع الامام بن باز، نور على الدرب، قسم الفتاوى، 13 شوال 1444هـ.

2 محمد بن جرير الطبري، الجامع لأحكام القرآن، (20/146).

3 مجموعة من العلماء وأساتذة التفسير، التفسير الميسر، ج:5، ص: 31.

المقامات العالية في الشجاعة والنجدة ، وهم يكذبون في ذلك. وقال ابن عباس : سلقوكم أي : استقبلوكم. وقال قتادة : أما عند الغنيمة فأشح قوم ، وأسوأه مقاسمة : أعطونا ، أعطونا ، قد شهدنا معكم . وأما عند البأس فأجبن قوم، وأخذله للحق .وهم مع ذلك أشحة على الخير، أي: ليس فيهم خير، قد جمعوا الجبن والكذب وقلة الخير، فهم كما قال في أمثالهم الشاعر:

أفي السلم أعيارا جفاء وغلظة *** وفي الحرب أمثال النساء العوارك.

أي: في حال المسالمة كأنهم الحمير. والأعيار: جمع عير، وهو الحمار، وفي الحرب كأنهم النساء الحيض.¹

و في قول الله تعالى في الأحزاب: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي المَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكُم بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب:60] . الظاهر المجرد في قوله تعالى: "في قلوبهم مرض" هو السقم أو مرض القلب غفلته عن الهداية و المراد هنا مرض خاص وهو إتباعهم لشهواتهم و غرائزهم الساقطة و نفوسهم الهابطة. أي " الزنا" كما جاء في التفسير عن الامام بن كثير عن عكرمة حيث قال: " ..ثم قال تعالى متوعدا للمنافقين، وهم الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر والذين في قلوبهم مرض (قال عكرمة وغيره : هم الزناة هاهنا) والمرجفون في المدينة (يعني : الذين يقولون " : جاء الأعداء " و " جاءت الحروب " ، وهو كذب وافتراء ، لمن لم ينتهوا عن ذلك ويرجعوا إلى الحق (لنغربنك بهم).

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس: أي: لنسلطنك عليهم . وقال قتادة، رحمه الله: لنحربنك بهم . وقال السدي : لنعلمنك بهم . ثم لا يجاورونك فيها (أي: في المدينة) إلا قليلا².

و في قول الله تعالى : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهَا بِهَا وَلَكنَّا أَخْلَدْنَا إِلَى الْأَرْضِ وَابْتِغَىٰ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:176] في هذا ظاهرا مراد لا يدل عليه لفظ " تحمل " فليس الحمل هنا من التحمل أو رفع الشيء على الكاهل أو حمله على الظهر و إنما الطرد و الزجر و قد جاء هذا المعنى في

1 أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم:391/6.

2أبي الفداء إسماعيل بن كثير، (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم:482/6.

تفاسير عديدة منها تفسير بن الجوزي في قوله: "...معناه: أن هذا الكافر، إن زجرته لم ينزجر، وإن تركته لم يهتد، فالحالتان عنده سواء كحالتي الكلب، فإنه إن طرد وحمل عليه بالطرد كان لاهثا، وإن ترك وريض كان أيضا لاهثا، والتشبيه بالكلب اللاهث خاصة؛ فالمعنى: فمثله كمثل الكلب لاهثا؛ وإنما شبهه بالكلب اللاهث، لأنه أحسن الأمثال على أحسن الحالات وأبشعها. وقال ابن قتيبة: كل لاهث إنما يلهث من إعياء أو عطش، إلا الكلب، فإنه يلهث في حال راحته وحال كلاله، فضربه الله مثلا لمن كذب بآياته، فقال: إن وعظته فهو ضال، وإن لم تعظه فهو ضال، كالكلب إن طردته وزجرته فسعى لهث، أو تركته على حاله رابضا لهث..."¹.

12- (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) [البقرة: 207]

في هذه الآية ورد معنى البذل في سبيل الله تبارك وتعالى ابتغاء رضوان الله سبحانه، وهو بمعنى البيع عند العرب. و لا يبيع الا لسعة و لا يبيع الا بثمان فالسعة النفس بما حوته من تقرب بالطاعات في سبيل الله كالنفقة و الجهاد، و الثمن في مقابلها مرضات الله عزوجل في العاجل و الآجل بما في ذلك جنات النعيم. والمالك لجميع ذلك هو الكريم المنان، فأى كرم يناله العبد بعد هذا المن والعطاء. و قد جاء في الآية ظاهر مجرد يصلح بعض معناه لمن ملك و لكن الظاهر المراد من كلمة " يشري " هو البيع وأغلب المفسرون على هذا المعنى. وجاء في تفسير السعدي رحمه الله قوله " ... هؤلاء هم الموفقون الذين باعوا أنفسهم وأرخصوها وبذلوها طلبا لمرضاة الله ورجاء لثوابه، فهم بذلوا الثمن للمليء الوفي الرؤوف بالعباد، الذي من رأفته ورحمته أن وفقهم لذلك، وقد وعد الوفاء بذلك، فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴾ إلى آخر الآية. وفي هذه الآية أخبر أنهم اشتروا أنفسهم وبذلوها، وأخبر برأفته الموجبة لتحصيل ما طلبوا، وبذل ما به رغبوا، فلا تسأل بعد هذا عن ما يحصل لهم من الكريم، وما ينالهم من الفوز والتكريم..."²

1 جمال الدين عبد الرحمان بن الجوزي، (ت: 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير: 58/3.

2 العلامة عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تفسير تيسير الكريم الرحمان، ص: 94.

جاء في سورة البقرة كذلك هذه الآية قوله عزوجل: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة:214].

في الآية ظاهر مراد من كلمة "زللوا" و هو من الأفعال الرباعية المضعفة بحرفين تفيد الحركة و الاهتزاز نحو: رفرق، زرع و هي هنا لا تتعلق بزلزلة الأرض كما ورد في جميع التفاسير و منها تفسير السعدي رحمه الله في قوله: "...يخبر تبارك وتعالى أنه لا بد أن يمتحن عباده بالسراء والضراء والمشقة كما فعل بمن قبلهم، فهي سنته الجارية، التي لا تتغير ولا تتبدل، أن من قام بدينه وشرعه، لا بد أن يبتليه، فإن صبر على أمر الله، ولم يبال بالمكاره الواقعة في سبيله، فهو الصادق الذي قد نال من السعادة كمالها، ومن السيادة آلتها. ومن جعل فتنة الناس كعذاب الله، بأن صدته المكاره عما هو بصدده، وثنته الحن عن مقصده، فهو الكاذب في دعوى الإيمان، فإنه ليس الإيمان بالتحلي والتمني، ومجرد الدعاوى، حتى تصدقه الأعمال أو تكذبه. فقد جرى على الأمم الأقدمين ما ذكر الله عنهم (مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ) أي: الفقر (وَالضَّرَاءُ) أي: الأمراض في أبدانهم (وَزُلُّوا) بأنواع المخاوف من التهديد بالقتل، والنفي، وأخذ الأموال، وقتل الأحبة، وأنواع المضار حتى وصلت بهم الحال، وآل بهم الزلزال، إلى أن استبطأوا نصر الله مع يقينهم به. ولكن لشدة الأمر وضيقه قال (الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ). فلما كان الفرج عند الشدة، وكلما ضاق الأمر اتسع، قال تعالى: (أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) فهكذا كل من قام بالحق فإنه يمتحن¹. فالمراد بزللوا هو بلوغ الخوف والتهديد وليس زلزلة الأرض. ويظهر المعنى المراد إذا استحضرنا ان الخبر كان عن النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه فلا يعقل أن يكون المعنى زلزال الأرض لأن زلزلة الأرض من ألوان العذاب، وما كان الله ليعذب خليله وحزبه من المؤمنين.

و قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا كَبِيرٌ مِنْ تَعَهُمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:219].

ورد في هذه الآية الكريمة كلمة " العفو " و الظاهر المراد لها هو الزيادة على النفقة و ليس العفو من العافية أو الإعفاء. كما ذكر المفسرون و منهم بن كثير حيث ذكر: "...وقال

1 العلامة عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تفسير تيسير الكريم الرحمان، ص:96.

الحكم عن مقسم، عن ابن عباس: (يسألونك ماذا ينفقون قل العفو) قال: ما بفضل عن أهلك.¹

وقوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: 19]. فالظاهر المجرد من الآية لا يلزم المعنى المجمع عليه من طرف المفسرين، وحتى مع بعض اختلافهم فليس المعنى المتبادر للذهن هو الصواب. و لولا ما صح من الأخبار عن السلف لما عرفنا ظاهرها المراد. قال البخاري، قال ابن عباس: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ حالاً بعد حال، قال: هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم "أخرجه البخاري"²، وقال الشعبي: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قال: لتركبن يا محمد سماء بعد سماء، يعني ليلة الإسراء، وقيل: طبقاً عن طبق منزلاً على منزل، ويقال: أمراً بعد أمر، وحالاً بعد حال "³ هي رواية العوفي عن ابن عباس"³، وقال السدي: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ أعمال من قبلكم منزلاً بعد منزل، وكأنه أراد معنى الحديث الصحيح: "لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه"، قالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: (فمن؟)².

وقال ابن مسعود: ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ السماء مرة كالدهان، ومرة تنشق، وقال سعيد بن جبير: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قال: قوم كانوا في الدنيا خسيساً أمرهم فارتفعوا في الآخرة، وآخرون كانوا أشرافاً في الدنيا فاتضعوا في الآخرة، وقال عكرمة: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ حالاً بعد حال فطيماً بعد ما كان رضيعاً، وشيخاً بعد ما كان شاباً، وقال الحسن البصري: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ يقول: حالاً بعد حال، رخاء بعد شدة، وشدة بعد رخاء، وغنى بعد فقر، وفقراً بعد غنى، وصحة بعد سقم، وسقماً بعد صحة. ثم قال ابن جرير الطبري في تفسيره: "... والصواب من التأويل قول من قال: لتركبن أنت يا محمد حالاً بعد حال، وأمرأ بعد أمر من الشدائد، والمراد بذلك - وإن كان الخطاب موجهاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - جميع الناس، وأنهم يلقون من الشدائد يوم القيامة وأحواله أهوالاً..."³.

1 أبو الفداء اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم: 579/1.

2 شيخ الإسلام عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى: 106/10.

3 محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن: 326/24.

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾
[البقرة:279].

والظاهر المراد من كلمة " فَأْذَنُوا " هو تستيقنوا وتعلموا أنكم آذنتم على أنفسكم الحرب وليست استئذانا للمرابين لمحاربتهم. وقد جاء في التفسير الميسر: ... فإن لم تردعوا عما نهاكم الله عنه فاستيقنوا بحرب من الله ورسوله، وإن رجعتم إلى ربكم وتركتم أكل الربا فلکم أخذ ما لكم من ديون، دون زيادة، لا تظلمون أحدًا بأخذ ما زاد على رؤوس أموالكم، ولا يظلمكم أحد بنقص ما أقرضتم¹.

قال عزوجل: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمِ أَنَّى لِكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:37].

جاء في الآية ذكر المحراب، و هو مكان التعبد و الظاهر المتبادر للذهن عند التلاوة لها هو المعنى المجرد من كلمة المحراب، وهو في الآية ليس هو محراب المسجد كما هو الظاهر المجرد، بل هو المكان المرتفع المشرف والشريف لذلك سميت القبلة محرابا، وهي القصور. وقد جعل زكرياء عليه السلام مكانا لمريم خاص بالعبادة يدخل عليها فيه كل مرة ليرى حاجتها ويقوم على رعايتها وهذا هو الظاهر المراد من الآية. وقد جاء في تفسير الالوسي: "... والمحراب على ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما غرفة بنيت لها في بيت المقدس وجعلت بابها في وسط الحائط وكانت لا يصعد عليها إلا بسلم مثل باب الكعبة ، وقيل : المراد به المسجد إذ قد كانت مساجدهم تسمى المحاريب؛ وقيل : أشرف مواضعه ومقدمها وهو مقام الإمام من المسجد في رأي ، وأصله مفعال صيغة مبالغة كقطعان فسمي به المكان لأن المحاربين نفوسهم كثيرون فيه ، وقيل : إنه يكون اسم مكان وسمي به لأن محل محاربة الشيطان فيه أو لتنافس الناس عليه ولبعض المغاربة في المدح :

2 مجموعة من العلماء وأساتذة التفسير، التفسير الميسر: 292/1.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِأَيْدِيهِمْ حَتَّىٰ إِذَا فَصِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا أُرْسِلْتُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾
[آل عمران:152].

جاء في الآية كلمة "تحسبونهم" و الظاهر المراد منها القتل بالسيوف قتلا شديدا، و ليس من معنى "الإحساس" أو الحس بكسر الحاء، كما قد يظن بعض الناس وقد جاء في التفاسير هذا المعنى بالقتل الكثير : قال أبو السعود في تفسيره: "... فإن المشركين لما أقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا، والمسلمون على آثارهم يقتلونهم قتلا ذريعا، وذلك قوله تعالى : ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ﴾ أي: تقتلونهم قتلا كثيرا فاشيا من حسه إذا أبطل حسه، وهو ظرف لـ"صدقكم".¹

— ما تعلق بال نحو:

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مریم: 62].

اختلف النحاة في إعراب كلمة (سلاما) ودار خلافهم فيها على ثلاثة أقوال :

الأول: النصب على الاستثناء المنقطع، أي إن ما بعد حرف الاستثناء يكون من غير جنس المستثنى منه. ويكون المعنى على هذا الإعراب أن السلام ليس من جنس اللغو؛ بل يقصد به سلام المؤمنين بعضهم على بعض، أو سلام الملائكة عليهم، أو تسليم الله عزوجل عليهم.

الثاني: البدل من اللغو، ولا يجوز اعتبار هذا الرأي؛ لأنه لا يمكن أن يكون السلام من اللغو .

الثالث: النصب على الاستثناء المتصل، أي إن ما بعد حرف الاستثناء يكون من جنس المستثنى منه، ولكنه هنا استثناء متصل بطريق التعليق بالحال، والمعنى أن المؤمنين لا يسمعون أي لغو ما إلا سلام ، فكما استحال كون السلام لغو استحال سماعهم لهذا اللغو بالكلية.²

و في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: 03]

تحتمل كلمة (الذين) أوجه الإعراب الثلاثة: الرفع والنصب والجر. أما الرفع فمن جهتين :

الأولى: اسم موصول في محل رفع مبتدأ وخبره جملة ﴿أولئك على هدى من ربهم﴾

1 أبي السعود العمادي، ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم، 473/1 .

2 هديل أحمد عطية/يوسف النيراوي، د. عبد السلام حمدان، أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن، جامعة غزة، رسالة الماجستير، 2009م.

الثانية: اسم موصول في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره "هم". وأما النصب فهو المدح، وتقديره: أعني الذين، أو أذكر الذين.

وأما الجر فعلى أن اسم الموصول في محل جر نعت للمتقين. وقد أضاف البعض وجهين آخرين للجر وهما: الجر على أنه عطف بيان أو بدل.

أولاً: الرفع: ومعناه على الجهة الأولى منه أن قوله تعالى: "الذين يؤمنون بالغيب" جملة مستأنفة لا علاقة لها بما سبقها، وفيها بيان للذين يؤمنون بالغيب وقيمون الصلاة... إلخ ما ورد في الآية، وخبر الاسم الموصول هو جملة ﴿أولئك على هدى من ربهم﴾ واعترض ابن عاشور على هذا الإعراب حيث قال: "وعندي أنه تجويز لما لا يليق، إذ الاستئناف يقتضي الانتقال من غرض إلى آخر وهو المسمى بالاعتضاب، وإنما يحسن في البلاغة إذا أشيع الغرض الأول وأفيض فيه حتى أستوعب أو حتى خيفت سامة السامع وذلك موقع "أما بعد" أو كلمة "هذا ونحوها"، وإلا كان تقصيرا من الخطيب والمتكلم لا سيما وأسلوب الكتابة أوسع من أسلوب الخطابة؛ لأن الإطالة في أغراضه أمكن. "ومعناه على الجهة الثانية منه أن الكلام موصول بالمتقين، والرفع هنا على المدح، كأنه لما قال: "هدى للمتقين"، سأل سائل: من هم؟ فقال: "الذين يؤمنون بالغيب"...

ثانياً: النصب على المدح، ومعناه أنه لما قال: "هدى للمتقين" كأنه قال: أعني الذين يؤمنون بالغيب، أو اذكر الذين يؤمنون بالغيب

ثالثاً: الجر على أنه نعت للمتقين، حيث إنه لما ذكر أن القرآن "هدى للمتقين" جاء ذكر المتقين مجملاً، فبدأ بقوله: "الذين يؤمنون بالغيب..." وفيه تفصيل لما أجمل ذكره في المتقين، وكأنه يريد أن يعرفنا من المراد بهؤلاء المتقين، فبدأ بتعداد صفاتهم. أما الجر على أنه عطف بيان فيقصد به أن الله عزوجل يبين منهم المتقون. وأما الجر على البدل فمعناه أن المتقين هم الذين يؤمنون بالغيب وقيمون الصلاة ومما رزقهم الله ينفقون، وأن الذين يؤمنون بالغيب وقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون هم أنفسهم المتقون¹.

¹ نفس المصدر السابق.

قال تعالى: ﴿مُّ قَمِينَا عَلَى آثَارِهِمْ يُرْسِلْنَا وَقَمِينَا بَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: 27].

قوله تعالى: «ورهبانية»، اختلف العلماء في إعرابها إلى قولين، وانعكس هذا الاختلاف على المعاني المستفادة من النص القرآني.¹

1-الأول: أنها معطوفة على الأسماء المنصوبة قبلها، وعليه يكون المعنى: (وجعلنا في قلوبهم رأفةً ورحمةً ورهبانية...)، وعلى هذا فأصل الرهبانية عمل منزّل عليهم من الله تعالى، وهي لزوم الصوامع للعبادة واعتزال الخلق واطّراح اللذات، ولكنهم لم يلتزموا بها على الصورة المنزلة عليهم، وإنما ابتدعوا فيها وغيروا، وجأؤوا بأشياء لم يكتبها الله تعالى عليهم.

2-الثاني: أنها مفعول به لفعل محذوف، يفسره المذكور بعدها، والتقدير: ابتدعوا رهبانية. والمعنى يكون على هذا الإعراب: (وجعلنا في قلوبهم رأفةً ورحمةً، وابتدعوا رهبانيةً من عند أنفسهم، لم نفرضها عليهم، إنما أمرناهم بما يرضي الله تعالى، وهم مع ذلك حولوا هذه الرهبانية إلى وسيلة لطلب الرياسة وأكل أموال الناس بالباطل).

وثمة أقوال أخرى في توجيه هذه الآية الكريمة، نكتفي بما ذكرنا، ففيهما الكفاية على بيان أثر الإعراب في فهم النص وبيانه.

ثانياً: الاختلاف في إعراب (وَأَرْجُلَكُمْ):

4- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ...﴾ [المائدة: 6].

قوله تعالى: (وأرجلكم) فيه قراءات ثلاث: الأولى بالنصب، والأخرى بالجر، والثالثة بالرفع، ولقد كان لقراءتي النصب والجر أثر كبير في فهم هذه الآية الكريمة²:

1-الأولى: قراءة النصب، وعليها تعرب (أرجلكم) اسماً منصوباً معطوفاً على (وجوهكم)، والتقدير: «فاغسلوا وجوهكم وأرجلكم». وبناء عليه يكون معنى الآية الكريمة: (يا أيها الذين

1.د.عبد الرحمان عبد الله رجو، النحو وأثره في فهم النص الشرعي، مجلة رواء، العدد:1، 9مارس2020.

2 نفس المصدر.

آمنوا إذا أردتم الصلاة، وأنتم على غير وضوء، فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق، وامسحوا برؤوسكم، واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين). فهي تدل على الأمر بغسل الرجلين إلى الكعبين.
2- الثانية: قراءة الجر، وعليها تُعرب (أرجلكم) مجرورةً معطوفةً على (رؤوسكم)، والتقدير: (وامسحوا برؤوسكم وامسحوا بأرجلكم إلى الكعبين)، وبناء عليه: فمعنى الآية يدل على وجوب مسح الرجلين.

ولما كانت النصوص الشرعية تأمر بغسل الرجلين إلى الكعبين، ولا تُجيز مسحهما إلا في حالات خاصة، كأن يكون الشخص لابساً خفّين، قام العلماء بالنظر في الوجوه والقواعد النحوية لفهم الآية فهماً، لا تتعارض فيه النصوص الشرعية من ناحية، ولا يُخْرِج عن قواعد لغة العرب من ناحية أخرى، فقالوا:

أ- قوله تعالى: (وأرجلكم) بقراءة الجر، ليست معطوفةً على (رؤوسكم) عطفاً حكماً ومعنى، وإنما عطفاً لفظاً وجواراً، وعلى هذا يظلُّ معنى (أرجلكم) تابعاً إلى (وجوهكم) في حكم الغسل، ويكون تابعاً لرؤوسكم في الإعراب تأثراً بالجوار، وهذا على قول بعض النحويين. وذكروا أنّ للجوار هنا فائدة لطيفة، وهي التنبيه على الاقتصاد في استخدام الماء؛ لأنَّ الأرجل مظنة الإسراف.

ودليل هذا التأويل النحوي القياس على قول العرب: «هذا جُحْرٌ ضَبٌّ خَرِبٌ»، فحقُّ (خَرِب) الرفع؛ لأنها صفة جُحْر، ولقد جُرَّت حملاً على الجوار. لكن جمهور النحويين ردُّ هذا القياس، فهذه القاعدة تكون عندهم في الصفة والتوكيد، ولا يدخل العطف فيها؛ لأن حرف العطف يمنع التجاور.

ب- أن قراءة الجر تفيد جواز مسح الرجلين، ولكنها مقيّدة بالقرينة الشرعية، وهي قوله وفعله عليه الصلاة والسلام، إذ لا يُعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم مسح على رجليه، وهما مكشوفتان، ولقد توعد النبي الأعقاب التي لم يستوعبها المتوضئون بالنار، واستيعاب العضو لا يجب في المسح، فدلَّ ذلك على وجوب الغسل، وبهذا يكون المراد بمسح الرجلين هو حالة لبس الخفين.¹

¹ د. عبد الرحمان عبد الله رجو، النحو وأثره في فهم النص الشرعي، مجلة رواء، العدد: 1، 9 مارس 2020.

قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ [النور: 4-5].

قوله تعالى: (إلا الذين تابوا...) في محل نصب على الاستثناء، وللنحويين أقوال عدة في رجوع الاستثناء، إذا جاء بعد جُمْل، عَطِفَ بعضها على بعض:

الأول: أن الاستثناء يعود إلى الجملة الأخيرة منها فقط، وعلى هذا يكون معنى الآية: (والذين يرمون أهل العفة من الرجال والنساء بالفاحشة، ثم لم يأتوا بأربعة شهود على ذلك، فاجلدوهم ثمانين جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادة، وأولئك الخارجون عن طاعة الله، إلا الذين تابوا إلى الله وأصلحوا أعمالهم، فإن الله يقبل توبتهم، ويرفع عنهم صفة الفسق، ولكن لا تقبل شهادتهم).

فلاستثناء رفع عنهم الصفة الأخيرة، وهي الفسق والعصيان لله تعالى، ولم يستثن ما قبلها.

الثاني: أن الاستثناء يرجع إلى جميع الجمل المعطوفة قبله، ولكنَّ الجلد لا يسقط عن القاذف بالتوبة، فهذه تخرج من الاستثناء بالقرينة الشرعية، وهي الإجماع على ذلك. ويكون المعنى على ذلك: (والذين يرمون أهل العفة من الرجال والنساء بالفاحشة، ثم لم يأتوا بأربعة شهود على ذلك، فاجلدوهم ثمانين جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادة، وأولئك الخارجون عن طاعة الله، إلا الذين تابوا إلى الله وأصلحوا أعمالهم، فإنَّ الله يقبل توبتهم وشهادتهم، ويرفع عنهم صفة الفسق).

الثالث: أن الاستثناء في الآية الكريمة منقطع، وليس متصلًا، أي لا يُراد منه إخراج شيء من الحكم السابق، وإنما إثبات لأمر آخر، وهو: أن التائب من هذه المعصية لا يظل فاسقًا، وهذا الإعراب يعطي معنى الوجه الأول.¹

وبهذا يظهر كيف يفصح النحو عن المعاني، ويعين في فهم النص الشرعي، فأثره بيِّن في ذلك.

¹ أ. عبد الرحمان رجو، النحو وأثره في فهم النص الشرعي، مجلة رواء، العدد: 1، تاريخ الإصدار: 9 مارس 2020.

قال تعالى: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَّعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَارَةِ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المائدة: 96].

قوله تعالى: (وطعامه)، في بيان عودة الضمير قولان للعلماء:

الأول: يعود الضمير في (طعامه) إلى كلمة (البحر)، والتقدير: (أحلَّ لكم صيد البحر وطعام البحر، وعليه يكون المعنى: أحلَّ لكم ما تصطادونه من حيوانات البحر، التي لا تعيش إلا في الماء، وكذا أحلَّ لكم طعامه، وهو ما طفا عليه من ميتة، أو ما قذفه البحر، أو نَضَبَ عنه).¹

الثاني: يعود الضمير في (طعامه) إلى كلمة (صيد)، والتقدير: (أحلَّ لكم صيد البحر وطعام الصيد. وعليه يكون المعنى: أحلَّ لكم ما تصطادون من حيوان البحر، وما تباشرون صيدها بأنفسكم، وأما ما وجدتموه طافياً أو مقدوفاً فلا يحل).

والضمير عند النحويين يعود إلى أقرب مذكور في الكلام، ما لم يكن الأقرب مضافاً إليه، فيعود إلى المضاف، وقد يعود إلى المضاف إليه.² وعلى هذا فكلا القولين محتمل، والذي يرجح أحدهما القرائن الأخرى، والذي يظهر -والله أعلم- أن رجوع الضمير إلى البحر هو الأولى، لأمر؛ منها:

أ-الأخذ بعموم القاعدة النحوية، وهي أن الضمير يعود إلى أقرب مذكور، وأقرب مذكور هو البحر.

ب-أن الأدلة الشرعية صريحة في حلِّ ميتة البحر، قال صلى الله عليه وسلم في البحر: (هُوَ الطَّهْرُ مَأْوَةٌ، الْحِلُّ مَيْتَتُهُ)³، وبناء على هذا فرجوع الضمير إلى البحر هو الأولى نحواً وفقهاً.

7- قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: 171].

قوله تعالى: (وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ)، فيه حذفٌ وتقدير، وللعلماء فيه أقوال:

1.أ.عبد الرحمان رجو، أثر النحو في فهم النص الشرعي، مجلة رواء، العدد: 1، تاريخ الإصدار: 9 مارس 2020 .

2.الغلاييني، جامع الدروس العربية، ص: 125.

3.أبو داود أخرجه الترمذي: 38/69.

الأول: حذف المبتدأ فقط، والتقدير: (ولا تقولوا الأرباب ثلاثة، أو الآلهة ثلاثة، أو الأقبانيم ثلاثة)¹. ولقد نبّه ابن عاشور رحمه الله على فائدة لهذا الحذف، وهي أن النصارى كانوا مضطربين في حقيقة الإله، فجاء حذف المبتدأ مناسباً لحالهم؛ وبه يكون تقدير المبتدأ على حسب ما تقتضيه الأخبار الواردة عنهم في كيفية التثليث²، إذ فرّق النصارى متفكّة في عقيدة التثليث، ولكنها مختلفة في كفيته.

الثاني: حذف المبتدأ والخبر، وقيام المضاف إليه مقام المضاف، والتقدير: (ولا تقولوا الله ثالث ثلاثة)، وهذا التقدير مستفاد من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْهَوْا عَمَّا يُقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: 73].

الثالث: إعراب (ثلاثة) صفة لمبتدأ محذوف، والتقدير: (ولا تقولوا لنا آلهة ثلاثة). والدافع لهذا التقدير أن المعنى عند القائل به هو نفْي أصل تعدد الآلهة، وليس نفْي عدد بعينه، أي: (ولا تقولوا: لنا آلهة ثلاثة ولا إلهان). ولقد بدا من هذا المثال تأثير الحذف النحوي في تنوع تقديرات المفسرين، وفي فسح المجال لتقدير عموم ما ورد عن هؤلاء النصارى من أقوال، ولو ذُكر المبتدأ لما استوفى الكلام هذه المعاني كلها³.

4- ما تعلق بالبلاغة:

و فيه ما جاء في القراءان من أعراض البلاغة و التي يأتي المعنى الظاهر المراد من خلال استقراء الآيات و معرفة ما الذي ستر المعنى حتى لا يكون مباشرا فيحصل فيه جمال المبنى والمعنى . والمعلوم أن كلام الله أبلغ وأعلى بيانا من غيره وهذه أمثلة عما تعلق بالبلاغة في القراءان يأتي فيها الظاهر المراد من خلال تحليل الخطاب القرآني:

أ- الكناية: وهي من أهم أشكال المجاز وأغراض البلاغة. وقد كثر تردها في القرآن، ومعرفة دلالتها وأنواعها يعين على فهم الظاهر المراد من المعاني. ومن أمثلة ما ورد:

1 أ. عبد الرحمان رجو، النحو وأثره في فهم النص الشرعي، مجلة رواء، العدد: 1، تاريخ الإصدار: 9 مارس 2020.

2 وهي عقيدة توحيد الإله وله ثلاثة أقانيم: الأب والإبن والروح القدس: وهي عقيدة النصارى المحرفة والباطلة ويختلف النصارى فيما بينهم في الإيمان بها.

3 أ. عبد الرحمان رجو، النحو وأثره في فهم النص الشرعي، مجلة رواء، العدد: 1، تاريخ الإصدار: 9 مارس 2020.

كناية الله تعالى في القرآن الكريم عن "الكرم" ببسط اليد وعن البخل بغلها أو قبضها، كما سبق الإشارة إليها قال تعالى:

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: 29].

تمثيلان لمنع الشحيح وإسراف المبدّر زجرًا لهما عنهما وحملًا على ما بينهما من الاقتصاد والتوسط بين الإفراط والتفريط وذلك هو الجود الممدوح فخير الأمور أوساطها¹

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: 64].

وجاءت الكناية عن البخل في سورة التوبة قوله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ أَنْ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: 67]. وقبض اليد كناية عن الشح والبخل كما أن بسطها كناية عن الجود لأن من يعطي يمد يده بخلاف من يمنع²

وكنى الله تعالى في قرآنه الكريم الخوف بعدة صور، ومنها قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ [الأحزاب: 10].

وقد كنى الله تعالى في كتابه الكريم الخوف من الله والخشوع والخشية في عدة صور منها انكسار الرأس وطأطأتها التي تدل على الخضوع والمذلة لله عز وجل، فقد ورد في عدة آيات * في سورة القمر قال الله تعالى: ﴿خُشِعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: 07]. خشعا المراد منها الخوف وليس الخشية المتولدة عن الطاعة والمحبة.

¹ شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: 440/10.

² شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني: 285/7.

* وقوله تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِعَةٌ* أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ [النازعات: 08].

* وقوله تعالى حكاية عن الجرمين: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: 12]

في سورة القصص قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيبُ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: 11].

ترتيب الأخبار أنها على وفق ترتيب مضامينها في الحصول، وهذا يرجح أن يكون حصول مضمون ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً﴾ [القصص: 10] سابقاً على حصول مضمون ﴿وقالت لأختيه قُصِّيبُ﴾، أي قالت لأخته ذلك بعد أن اطمأن قلبها لما ألهمته من إلقاءه في اليم، أي لما ألقته في اليم قالت لأخته: انظري أين يلقيه اليم، ومتى يستخرج منه؟ وقد علمت أن اليم لا يلقيه بعيداً عنها؛ لأن ذلك مقتضى وعد الله برده إليها.

والقص: إتباع الأثر، استعمال في تتبع الذات بالنظر فلذلك عدي إلى ضمير موسى دون ذكر الأثر. وقد جاء في سورة الكهف عند قوله ﴿فارتدا على آثارها قصصاً﴾ [الكهف: 64]. وبصر بالشيء صار ذا بصر به. أي باصراً له فهو يفيد قوة الإبصار، أي قوة استعمال حاسة البصر وهو التحديق إلى المبصر، فـ "بصر" أشد من (أبصر). فالباء الداخلة على مفعوله باء السببية للدلالة على شدة العناية برؤية المرئي حتى كأنه صار باصراً بسببه.¹

وفي قوله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وِلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: 10] قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء المشركين الذين أمر نبيّه والمؤمنين بقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم، وحصرتهم والعودة لهم على كل مرصد: أنهم لو ظهروا على المؤمنين لم يرقبوا فيهم "إلا".

و"الإل": اسم يشتمل على معان ثلاثة: وهي العهد، والعقد، والحلف، والقراية، وهو أيضاً بمعنى "الله". فإذا كانت الكلمة تشمل هذه المعاني الثلاثة، ولم يكن الله خصص من ذلك معنى دون معنى، فالصواب أن يُعم ذلك كما عمّ بها جل ثناؤه معانيها الثلاثة، فيقال: لا يرقبون في مؤمن الله، ولا قرايةً، ولا عهداً، ولا ميثاقاً.

1 الشيخ الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: 24/20.

ومن الدلالة على أنه يكون بمعنى "القراءة" قول ابن مقبل:

أَفْسَدَ النَّاسَ خُلُوفٌ خَلْفُوا... قَطَعُوا الْإِلَّ وَأَعْرَاقَ الرَّحِمِ.¹

ويظهر هنا كذلك فائدة معرفة تنوع الالفاظ التي تفضي الى معنا واحد غير متعارض ويحتمله السياق. و الظاهر المراد هنا محتمل لجميع ما ورد في معنى كلمة "إل".

و في مثال آخر ورد الظاهر المراد في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: 40].

هكذا قرأه الجمهور ، وفسروه بأنه البعير . قال ابن مسعود : هو الجمل ابن الناقة . وفي رواية : زوج الناقة . وقال الحسن البصري : حتى يدخل البعير في خرق الإبرة . وكذا قال أبو العالية ، والضحاك . وكذا روى علي بن أبي طلحة ، والعوفي عن ابن عباس . وقال مجاهد ، وعكرمة ، عن ابن عباس : أنه كان يقرؤها " : حتى يلج الجمل في سم الخياط " بضم الجيم ، وتشديد الميم ، يعني : الحبل الغليظ في خرم الإبرة . وهذا اختيار سعيد بن جبیر . وفي رواية أنه قرأ " : حتى يلج الجمل " يعني: قلوس السفن، وهي الحبال الغلاظ².

فالظاهر المراد هنا يحتمل المعنيين جميعا "الجمل" الذي هو الحيوان، وحبل السفينة على السواء. والعلم بالمعنى اللغوي يوسع المعنى ويوضحه.

جاء الظاهر المراد من الوحي في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَاذَا حَمَّ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْأَيْمِ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: 07].

إيحاء الله إلى أم موسى: إلهام وقذف في القلب، قاله ابن عباس وقتادة؛ أو منام، قاله قوم؛ أو إرسال ملك، قاله قُطرب وقوم، وهذا هو الظاهر لقوله: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ . وأجمعوا على أنها لم تكن نبية، فإن كان الوحي بإرسال ملك، كما هو الظاهر، فهو كإرساله للأقرع والأبرص والأعمى، وكما روي من تكليم الملائكة للناس. والظاهر أن هذا

1 محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن: 148/14.

2 أبو الفداء اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم: 415/3.

الإيحاء هو بعد الولادة، فيكون ثم جملة محذوفة، أي ووضعت موسى أمه في زمن الذبح وخافت عليه.

﴿فَإِذَا خِفتَ عَلَيْهِ﴾ من جواسيس فرعون ونقبائه الذين يقتلون الأولاد ﴿فَأَلْفَيْهِ فِي أَيْمٍ﴾. قال الجنيد: إذا خفت حفظه بواسطتك، فسلميه إلينا بإلقائه في البحر، واقطعي عنك شفقتك وتدبيرك. وزمان إرضاعه ثلاثة أشهر، أو أربعة، أو ثمانية، أقوال. واليم هنا: نيل مصر... ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ أي من غرقه وضياعه، ومن التقاطه، فيقتل ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ لمفارقتك إياه ﴿إِنَّا رَأَوُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ وعد صادق يسكن قلبها ويشرها بحياته وجعله رسولا. واستفصح الأصمعي امرأة من العرب أنشدت شعرا فقالت: أبعد قوله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ الآية، فصاحة؟ وقد جمع بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين¹.

قال تعالى عن نبيه داود عليه السلام: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإشْرَاقِ 18 وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهٗ أَوَّابٌ﴾ [ص: 19]، لقد عبر المولى - عزوجل - عن حال الجبال في التسبيح بالفعل المضارع "يسبحن"، وتحول عن ذلك إلى الاسم في ذكر الطير، فقال: "والطير محشورة"، ولم يجر السياق على نسق واحد فيكون (إننا سخرنا الجبال معه يسبحن... والطير يحشرن)، فيسوي بينهما في الفعلية. يرى الزمخشري أنه اختير الفعل (يسبحن) على (مسبحات) للدلالة على "حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالاً بعد حال، وكأن السامع محاضر تلك الحال يسمعا تسبح"، ثم تحول في وصف الطير إلى الاسم، فقال: "والطير محشورة" وذلك أنه لما "لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من إرادة الدلالة على الحدوث شيئا بعد شيء جيء به اسماً لا فعلاً، ولو قيل: "وسخرنا الطير يحشرن، على أن الطير يوجد من حاشرها شيئا بعد شيء، والحاشر هو الله - عزوجل - لكان خلفاً؛ لأن حشرها جملة واحدة أدل على القدرة"². فيكون هذا التحول دالاً على المغايرة بين فعل العبد وفعل الرب سبحانه فالتسبيح يقع من المخلوقات شيئاً فشيئاً، أما الحشر فيقع من الله جملة واحدة بأمر واحد، إذ يقول للشيء كن فيكون، وكذلك يدل على اجتماع الطير لداود عليه السلام في

1 شهاب الدين الألوسي، (ت: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: 78/15.

2 الزمخشري، التفسير الكشاف: 364/3.

وقت واحد ساعة تسبيحه، لا أنها تحضر في أوان التسبيح شيئاً فشيئاً، بل تحضر معه جملة واحدة من بداية التسبيح إلى منتهاه، ولو قال: “والطير يُحْشَرْنَ”، لدل ذلك على حدوث الحشر شيئاً بعد شيء واستغراقه فترة من الزمن. ويضفي هذا التعبير دلالة أخرى، إذ يبرز خصوصية النعمة التي أنعم الله بها على داود عليه السلام، إذ جعل الجبال تسبح معه والطير محشورة له، ومن شأن الجبال التسبيح الدائم لكونها تندرج ضمن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: 44].

لكن المولى -عزوجل- أراد أن يبرز نعمته على داود بتسبيح الجبال معه على وجه الخصوص، فأتى بالفعل المضارع (يسبحن) مع الجبال للدلالة على أن التسبيح المقصود من الجبال ليس ذلك التسبيح الدائم، بل هو تسبيح خاص بنبي الله داود يتحدد بتحدد تسبيحه. ويؤيد ذلك دلالة المعية في الظرف (معه) المقدم على الفعل في قوله (إنا سخرنا الجبال معه يسبحن). كذلك “من شأن الطير الحركة وسرعة التنقل ومن ثم فإن التعبير بصيغة الاسم (محشورة) يفيد أن الطير حين تحشر إلى داود عليه السلام؛ لتجاوب مع تسبيحه، تفارق طباعها وتثبت في مكانها خاشعة لا تكاد تريم.¹

فالظاهر المراد هو تسبيح الجبال مع داود عليه السلام تسبيحاً يوافق تسبيحه، زمناً و الطير ثابتة حال التسبيح محشورة في مكان مع داود عليه السلام، و الله أعلم.

5- ما تعلق بالألفاظ ومعانيها:

قد يقع البعض في الخطأ عند استعمال بعض المعاني القرآنية المكونة في بعض الالفاظ، والتي قد لا تحقق المعنى المراد منها إذ أن السياق التي أخذت منه لا يخدم المعنى المراد. ولأن المعنى المباشر الذي جاءت به في تلك الآية هو خلاف الظاهر المراد منها.

و مثال ذلك؛ هذا الدعاء من أدعية القرآن، اعتاد كثير من الناس أن يلهجوا به في صلواتهم وفي غيرها، ظانين أنه من دعاء الخير والبر، وهو خلاف ذلك تماماً، أعني قوله تعالى على لسان شعيب -عليه السلام-: ﴿رَبَّنَا افْضَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف:

1 عبد الله الهتاري، رشفات من البيان المعجز، موقع اسلام أون لاين، (2023م).

[89]، فهذا دعاء رجلٍ كذّبه قومه وسخروا منه، وتوعده بالطرده والإخراج فاستغاث ربّه عليهم، وسأله أن ينتقم له منهم، فاستجاب الله دعاءه: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف: 91]، فكيف يكون مثل هذا دعاء خير وبر؟! أم كيف يدعو مسلم بمثل هذا على قومه وهم مسلمون؟! قال ابن عباس -رضي الله عنه-: «كان شعيب كثير الصلاة، فلما تَمَادَى قومه في كفرهم وغيّهم، ويئس من صلاحهم، دعا عليهم فقال: ﴿رَبَّنَا افْضَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: 89]، فاستجاب الله دعاءه فأهلكهم بالرجفة»¹.

قال أبو جعفر الطبري: «وأصل (الفتح) في كلام العرب: النصر، والقضاء، والحكم. يقال منه: (اللهم افتح بيني وبين فلان)، أي: احكّم بيني وبينه»². قال يحيى بن سلام -رحمه الله-: «وكان النبي إذا سأل الله أن يحكم بينه وبين قومه بالحق؛ هلكوا»³.

وأيضًا قد يترتب على هذا الضعف بمعرفة اللغة وأساليبها تفسير القرآن على المعاني الدارجة بين الناس، ومن ذلك: غلط كثير من الناس في فهم قول الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحُ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [آل عمران: 41]، حين يظنون أن المراد بالعشي وقت الليل، وليس هو بمعناه، جاء في تهذيب اللغة: «العشيّ: آخر النهار. وقيل: إذا زالت الشمس إلى أن تغيب. فإذا غابت الشمس فهو العشاء. وصلاتا العشيّ هما الظهر والعصر، عن أبي هريرة قال: صلّى بنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إحدى صلاتي العشيّ، وأكبر ظني أنها الظهر... ثم ذكر الحديث»⁴.

وقال ابن جرير: «العشيّ: من حين تزول الشمس إلى أن تغيب، كما قال الشاعر:

فلا الظل من برد الضحى تستطيعه *** ولا الفياء من برد العشيّ تذوق»⁵.

1 أبو عبد الله شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 251/7.

2 محمد بن جرير الطبري، جامع البيان: 254/2.

3 يحيى بن سلام التميمي البصري القيرواني، (ت: 200هـ)، تفسير يحيى بن سلام: 352/2.

4 محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح المختصر، كتاب ما جاء في السهو، مجلد: 1/1227.

5 محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن: 391/6.

قال ابن عطية: «ومنه قول القاسم بن محمد: ما أدركتُ الناس إلا وهم يصلُّون الظهر بعشيٍّ»¹.

2- وفي سورة ص قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾ [ص 41-42].

قوله تعالى: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ الركض الدفع بالرجل. يقال: ركض الدابة وركض ثوبه برجله. وقال المبرد: الركض التحريك، ولهذا قال الأصمعي: يقال ركضت الدابة ولا يقال ركضت هي، لأن الركض إنما هو تحريك راكبها رجليه ولا فعل لها في ذلك. وحكى سيويه: ركضت الدابة فركضت مثل جبرت العظم فجبر وحزنته فحزن، وفي الكلام إضمار أي قلنا له: "اركض" قال الكسائي. وهذا لما عافاه الله. "هذا مغتسل بارد وشراب" أي فركض فنبعت عين ماء فاغتسل به، فذهب الداء من ظاهره، ثم شرب منه فذهب الداء من باطنه.²

فليس الركض هنا الفرار والفرع كما جاء في سورة الأنبياء: (لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ) [الأنبياء: 18].

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص: 45].

وقوله: ﴿أُولَى الْأَيْدِي﴾.

قال ابن عباس: يقول: أولى القوة والعبادة. والأبصار: الفقه في الدين. قال: مجاهد: أولى الأيدي: القوة في أمر الله عز وجل والأبصار: العقول. وقال قتادة: أعطوا قوة في العبادة وبصراً في الدين. وقال السدي: الأيدي: القوة في طاعة الله، والأبصار: البصر بعقولهم في دينهم. وقيل: الأيدي: جمع يد، من النعمة، أي: هم أصحاب النعم التي أنعم الله عز وجل عليهم بها. وقيل: "هم أصحاب النعم والإحسان، لأنهم قد أحسنوا وَقَدَّمُوا خيراً." وأصل "اليد" أن تكون للجارحة، ولكن لما كانت القوة فيها، سميت القوة يداً. والبصر هنا غني به بصر القلب الذي به تنال معرفة الأشياء. وأجاز الطبري أن يكون المعنى أنهم أصحاب

1 ابن عطية، (ت: 546 هـ)، المحرر الوجيز: 414/1.

2 أبو عبد الله محمد بن شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 211/15.

الأيدي عند الله عز وجل بالأعمال الصالحة التي قدموها تمثيلاً باليد تكون عند الرجل الآخر. وقرأ عبد الله: "أولي الأيدي" بغير ياء على معنى أولي التأييد والمعونة من الله لهم¹. و قوله تعالى: ﴿أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي الثَّائِبَاتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَأَلِيْقَهُ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّمِّي وَلَتُضَعَّ عَلَيَّ عَيْنِي﴾ [القصص:39].

قوله تعالى: ﴿وَلَتُضَعَّ عَلَيَّ عَيْنِي﴾ وقرأ أبو جعفر: (ولتضع) بسكون اللام والعين والإدغام. قال قتادة: لتغذى على محبتي وإرادتي. قال أبو عبيدة: على ما أريد وأحب. قال ابن الأنباري: هو من قول العرب: غذي فلان على عيني؛ أي: على المحبة مني. وقال غيره: لتربي وتغذى بمراي مني، يقال: صنع الرجل جاريته: إذا رباها، وصنع فرسه: إذا داوم على علفه ومراعاته، والمعنى: ولتضع على عيني، قدرنا مشي أختك وقولها: ﴿هَلْ أَذْلكُمْ عَلَيَّ مَنْ يَكْفُلُهُ﴾؛ لأن هذا كان من أسباب تربيته على ما أراد الله عز وجل².

و قوله في سورة يوسف: ﴿ وَسئِلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَّادِقُونَ ﴾ [يوسف: 82]. فالظاهر المراد من الآية في قوله: وأسأل القرية فلا يقبل عقلا أن يكون السؤال موجها لمبانيها وأشجارها و الدواب كما في قولهم و العير التي أقبلنا فيها ، و لكن المراد أهلها الذين خالطوهم حين نزلوا بها . و قد جاء في التفاسير توضيح هذا المعنى في التحرير للطاهر بن عاشور حيث قال:

"...وسؤال القرية مجاز عن سؤال أهلها. والمراد بها مدينة مصر. والمدينة والقرية مترادفتان. وقد خصت المدينة في العرف بالقرية الكبيرة.

والمراد بالعيير التي كانوا فيها رفاقهم في عيرهم القادمين إلى مصر من أرض كنعان، فأما سؤال العير فسهل وأما سؤال القرية فيكون بالإرسال أو المراسلة أو الذهاب بنفسه إن أراد الاستثبات"³.

و نحوها في قوله تعالى عن القرية: ﴿وَلَوْطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ﴾ (٧٤) وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) [الأنبياء: 74-75]

1 محمد بن جرير الطبري، جامع البيان: 21/216.

2 أبو الفرج عبد الرحمان بن الجوزي، (ت: 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير: 5/198.

3 عاشور محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير: 13/245.

فالمقصود بعمل الخبائث هم أهل القرية وهو الظاهر المراد وليست القرية نفسها كما تقدم وقد ورد ذلك كثيرا. وجاء في تفسير التحرير والتنوير للعلامة الطاهر بن عاشور قوله: والقرية سدوم. وقد تقدم ذكر ذلك في سورة هود. والمراد من القرية أهلها كما مر في قوله تعالى ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: 82]. في سورة يوسف.

والخبائث: جمع خبيثة بتأويل الفعل، أي الشنيعة. والسوء بفتح السين وسكون الواو مصدر، أي القبيح المكروه، وأما بضم السين فهو اسم مصدر لما ذكر وهو أعم من المفتوح لأن الوصف بالاسم أضعف من الوصف بالمصدر¹.

و في سورة النحل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي تَقَصَّتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبُلُوكُمْ اللَّهُ بِذِهِمُ الْيَمِينَاتِ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل: 92].

النقض والنكث واحد، والاسم النكث والنقض، والجمع الأنكاث فشبهت هذه الآية الذي يخلف ويعاهد ويبرم عهده ثم ينقضه بالمرأة تغزل غزلها وتفتله محكما ثم تحله. ويروى أن امرأة حمقاء كانت بمكة تسمى ربيعة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة كانت تفعل ذلك، فبها وقع التشبيه، قال الفراء، وحكاها عبد الله بن كثير والسدي ولم يسميا المرأة، وقال مجاهد وقتادة: وذلك ضرب مثل، لا على امرأة معينة. وأنكاثا نصب على الحال. والدخل: الدغل والخديعة والغش. قال أبو عبيدة: كل أمر لم يكن صحيحا فهو دخل. (أن تكون أمة هي أربي من أمة) قال المفسرون: نزلت هذه الآية في العرب الذين كانت القبيلة منهم إذ حالفت أخرى، ثم جاءت إحداهما قبيلة كثيرة قوية فداخلتها غدرت الأولى ونقضت عهدها ورجعت إلى هذه الكبرى - قاله مجاهد - فقال الله تعالى: لا تنقضوا العهود من أجل أن طائفة أكثر من طائفة أخرى أو أكثر أموالا فتنقضون أيمانكم إذا رأيتم الكثرة والسعة في الدنيا لأعدائكم المشركين. والمقصود النهي عن العود إلى الكفر بسبب كثرة الكفار وكثرة أموالهم. وقال الفراء: المعنى لا تغدروا بقوم لقلبتهم وكثرتكم أو لقلبتكم وكثرتهم، وقد عززتموهم بالآيمان. أربي: أي أكثر، من ربي الشيء يربو إذا كثر. والضمير في "به" يحتمل أن يعود على الوفاء الذي أمر الله به. ويحتمل أن يعود على الرباء، أي أن الله تعالى ابتلى عباده بالتحاسد وطلب بعضهم

1 المصدر السابق: 112/18.

الظهور على بعض، واختبرهم بذلك من يجاهد نفسه فيخالفها ممن يتبعها ويعمل بمقتضى هواها، وهو معنى قوله: (إنما ييلوكم الله به وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) من البعث وغيره¹.

و قد جاء في خبر بني اسرائيل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [البقرة: 84]

فالظاهر من الآية أن يقتل الرجل منهم نفسه أو يخرج من بيته بنفسه ولكن المراد منها غير ذلك فقد جاء في التفاسير أن المعنى في الآية:

واذكروا - يا بني إسرائيل - حين أخذنا عليكم عهداً مؤكداً في التوراة: يحرم سفك بعضكم دم بعض، وإخراج بعضكم بعضاً من دياركم، ثم اعترفتهم بذلك، وأنتم تشهدون على صحته².

و قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَؤُسْفَىٰ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: 84]. الظاهر المجرد من الآية أن العينان تبدل لونهما من السواد للبياض، ولكن الظاهر المراد هو كناية عن ضعف البصر أو ذهابه. كما جاء في التحرير للظاهر بن عاشور. ".... وايضاض العينين: ضعف البصر. وظاهرة أنه تبدل لون سوادهما من الهزال. ولذلك عبر بـ ابيضت عيناه دون عميت عيناه. و(من) في قوله: ﴿من الحزن﴾ (سببية. والحزن سبب البكاء الكثير الذي هو سبب ابيضاض العينين. وعندى أن ابيضاض العينين كناية عن عدم الإبصار كما قال الحارث بن حلزة .

قبل ما اليوم بيضت بعيون الد *** اس فيها تغيض وإباء

وأن الحزن هو السبب لعدم الإبصار كما هو الظاهر، فإن توالي إحساس الحزن على الدماغ قد أفضى إلى تعطيل عمل عصب الإبصار؛ على أن البكاء من الحزن أمر جبلي فلا يستغرب صدوره من نبي، أو أن التصبر عند المصائب لم يكن من سنة الشريعة الإسرائيلية بل كان من سننهم إظهار الحزن والجزع عند المصائب. وقد حكى التوراة بكاء بني إسرائيل على موسى عليه السلام أربعين يوماً، وحكى تمزيق بعض الأنبياء ثيابهم من الجزع. وإنما التصبر في المصيبة كمال بلغت إليه الشريعة الإسلامية. والكظيم: مبالغة للكظم. والكظم: الإمساك

1 محمد بن أحمد بن فرج القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 171/10.

2 مجموعة من العلماء و؛ أساتذة التفسير، التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: 98/1.

النفساني، أي كاظم للحزن لا يظهره بين الناس، ويكي في خلوته، أو هو فعيل بمعنى مفعول، أي محزون، كقوله وهو مكظوم¹.

وأما في الآيات التالية فسنعرف الظاهر المراد من خلال المعاني المتعلقة بحروف الجر الواردة في القرآن الكريم حيث وردت الحروف مكان حروف أخرى يكون الظاهر المجرد فيها على خلاف ظاهرها المراد من المعنى، وقد ذهب فريق من أهل البلاغة الى القول بتناوب حروف الجر أو ما يسمى بتنازع المعاني في حروف الجر، وقد اختار البعض من العلماء خاصية التضمين وهي تضمين فعل مرادف لمعنى الفعل الظاهر مع اضممار الفعل المضمن في معنى حرف الجر المناسب له، وهذه الأمثلة تظهر جليا المعنى المراد:

قوله تعالى: ﴿ قَالَ ءَامَنْتُمْ لِمَ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرٌمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِمَّنْ خَلْفَ وَأَصْلَيْتُكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَيُّمَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾ [طه:71].

حرف الجر "في" يفيد الضرف ولا يستقيم لغويا على ما جرت به عادة هذا الحرف أن يكون صلب السحرة الذين أنابوا الى الله من طرف فرعون في جدوع النخل ولكن يستقيم أن يقال: "على" ولكن المراد أن وثاقهم الشديد على جدوع النخل حتى صاروا كأنهم جزء من النخل أو فيها. ومعنى مراد آخر وهو شدة حقد فرعون عليهم حتى استعمل في عوض على نكاية فيهم وكرها لما تركوا من عبادته وتحولهم الى عبادة الواحد الأحد. جاء في التحرير و التنوير: "...بحرف "في" مع أن الصلب يكون فوق الجذع لا داخله ليدل على أنه صلب متمكن يشبه حصول المظروف في الظرف، فحرف "في" استعارة تبعية تابعة لاستعارة متعلق معنى "في" لمتعلق معنى "على"².

وقوله تعالى: ﴿ وَيُسْمَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَان مِرَاجِمًا زَنْجَبِيلًا ﴾ [الإنسان:17].
﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [البقرة: 17]

1 الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير: 108/12.

2 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: 152/16.

﴿قِيلَ الْخَرَاصُونَ 10 الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ 11﴾ [الذاريات:11]. حرف الجر "في" يفيد انغماس أهل الشرك والكفر في الضلالة وفي غمرة السهو وهي تفيد إحاطتهم بالضلال من كل صوب فلا يكادون يرقبون هداية او نور.

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فِيهَا أَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء:05].

جاء حرف الجر في لبيان حكم التعامل مع مال الضعفاء من السفهاء وغيرهم فلا يكون رزقهم "من" المال لأنه بذلك سيفنى بالإنفاق عليهم أو بالزكاة. وأما "فيه" فهو الانفاق عليهم من أرباح ما استثمر من المال فيكون الربح في المال رزقا لهم في أموالهم.

• قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ لِيَأْتِكُمْ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿ [سبأ:24].

• وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ [الأنعام:39]. ومعنى "على" الاستعلاء، وهو استعلاء السائر على الطريق. فالكلام تمثيل لحال الذي خلقه الله فمن عليه العقل يرعوي من غيه ويصغي إلى النصيحة فلا يقع في الفساد فاتبع الدين الحق، بحال السائر في طريق واضحة لا يتحير ولا يخطئ القصد، ومستقيمة لا تطوح به في طول السير. وهذا التمثيل أيضا صالح لتشبيه كل جزء من أجزاء الهيئة المشبهة بجزء من أجزاء الهيئة المشبهة بها، كما تقدم في نظيره. وقد تقدم شيء من هذا عند قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 6]. فالدين يشبه الصراط الموصل بغير عناء، والهدي إليه شبيه الجعل على الصراط.¹

حرف الجر "على" والمتعلق بكلمة الهدى يفيد التمكن والاستعلاء فالمؤمن على هدى من الله متبصر به متمكن منه. وأما "في" فأفادت الانغماس كما ذكرنا فالكافر والمشرك منغمس في الضلال لا يجدون منه مخرجا فهو محيط بهم غاية الإحاطة.

1 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: 92/6.

- ﴿قَالَ يَقُومُ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:61].
- ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ (6) [الإنسان: 06]. الباء تفيد الالتصاق، و الفعل المتضمن فيها "الري" او التلذذ او كلاهما، و هي الظاهر المراد من استعمال حرف " الباء" بدل "من".¹

و قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: 01].

في المثالين السابقين (م - ن) الظاهر من الآية أن حرف الجر في كلمة "له" و ما جاء بعده من كلمة "عوجا" انها تستدعي حرف جر آخر هو "في" أي ان العوج ليس فيه فنقول : سيف فيه عوج و لا نقول له عوج، و المراد من المعنى الذي يدل عليه حرف الجر " اللام" انه يعني أن هذا القرآن ليس فيه و لا يتأتى له من خارجه عوج فلا هو متلبس بالعوج و لا يمكن ان يخلص اليه مهما فعل الفاعلون لإلحاق العوج به من تحريف، او تبديل أو تزوير. قال بن عاشور في التحرير: "وانما عُدي الجعل باللام دون (في) لأن العوج المعنوي يناسبه حرف الاختصاص دون حرف الظرفية لأن الظرفية من علائق الاجسام وأما معنى الاختصاص فهو أعم. فالمعنى: أنه متصف بكمال أوصاف الكتب من صحة المعاني والسلامة من الخطأ والاختلاف. وهذا وصف كمال للكتاب في ذاته وهو مقتضى أنه أهل للانتفاع به،..."²

¹ أبو حيان الاندلسي، البحر المحيط: 434/8. بتصرف.

² الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير: 642/15.

الخاتمة

خاتمة

وفي ختام هذا البحث الذي طوف بنا في محطات مختلفة من مفهوم الظاهر لغة وفي الاصطلاحات الشرعية، وبالأخص ما يرتبط بعلم التفسير، وما تناولناه من ضوابطه التي لا مناص من الاحتكام اليها لمعرفة الظاهر في كتاب الله وأنواعه التي خلصنا فيها أن الظاهر المجرد والمراد كله مراد الله عزوجل ولكن اصطلاح المجرد هو لما ورد في كتاب الله ظاهر الدلالة والمعنى ولا يحتاج الى جهد من النظر ولا طول تأمل للوصول الى المعنى المراد، وأما ما احتيج فيه الى تدبر وسعة اطلاع ومعاينة الالفاظ وتراكيب السياق وأسباب النزول والاحتكام الى أصول الدين من سلامة المعتقد ودقة الاحكام وجهد العلماء في الاستنباط هذا كله ندعوه اصطلاحا بالظاهر المراد.

وعلمنا من خلال مطالب بحثنا أهمية معرفة الظاهر المراد والمجرد وأنها تسهل علينا فهم كتاب الله وتيسر على الباحث - في كلام الله وما تعلق به من علوم القرآن - الاستنباط والوصول الى المعاني الشاملة والصحيحة فلا تنزل به قدم في المعاني المغلوطة ولا تجنح به وجهته الى السبل التي تفرق به عن سبيل الحق، ومن خلال ما سبق نخلص الى النتائج التالية:

- 1- إن الظاهر المجرد والظاهر المراد كلاهما هو مراد الله عزوجل الذي يتعبد به.
- 2- انه لا يمكن الخلوص الى مراد الله الا عن طريق البحث واتباع العلماء الربانيين والنظر في كتب الفنون المتعلقة بالقرآن.
- 3- أن معرفة الظاهر المجرد والظاهر المراد ييسر فهم أحكام الله وتطبيقاتها في مختلف الحوادث.
- 4- أن تيسير الله لفهم كتابه إنما يتعلق بالهدايات العامة ولا يتعلق بجزئيات ما حوته آيات الذكر الحكيم من العلوم والحكمة.

قائمة

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولاً: قائمة المصادر والمراجع

1. إبراهيم بن موسى الشاطبي، الاعتصام
2. إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة ج3.
3. ابن جزري، التسهيل لعلوم التنزيل ج1.
4. ابن عطية، (ت: 546 هـ)، المحرر الوجيز
5. ابن وهب المصري، (ت: 195 هـ) الجامع تفسير القرآن.
6. أبو الحسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر)، ط: 1399 هـ-1979 م، ج3.
7. أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، (ت: 468 هـ)، التفسير البسيط.
8. أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي محمد سلامة، (دار الطيبة للنشر)، ط: 2، 525/3.
9. أبو الفرج عبد الرحمان بن الجوزي، (ت: 597 هـ)، زاد المسير في علم التفسير
10. أبو الفضل جمال الدين بن منظور، (ت: 711 هـ)، لسان العرب، ج: 7.
11. أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1424 هـ)، ط5.
12. أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير.
13. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق: ماهر حبوش، وزملاؤه، (بيروت: دار الرسالة العالمية، 1436 هـ-2015 م)، ط: 1.
14. أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان، البحر المحيط في التفسير: 244/1
15. أبو داود أخرجه الترمذي: 38/69.
16. أبو عبد الله محمد بن شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المحقق: هشام سمير البخاري، (دار عالم الكتب: الرياض)، ط(1423 هـ-2003 م)، ج20.

17. أبو محمد الحسين البغوي، معالم التنزيل، (دار طيبة للنشر والتوزيع)، ط:4، ج:5.
18. أبي السعود العمادي، (ت:982هـ)، إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم:435/1.
19. أبي الفداء اسماعيل بن كثير، (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم:482/6.
20. الأثر أخرجه عبد الرزاق في المصنف.
21. بدر الدين الزركشي، (ت: 794هـ)، البحر المحيط في أصول الفقه.
22. بن حزم الظاهري الاندلسي، (ت: 456هـ)، الإحكام في أصول الأحكام.
23. بن حزم الظاهري الاندلسي، الفصل في الملل والأهواء النحل:53/4.
24. بن عطية الاندلسي، (ت: 584هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (دار الكتب العلمية: لبنان، 1413هـ - 1993م)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.
25. البيهقي في السنن الكبرى
26. جمال الدين عبد الرحمان بن الجوزي، (ت: 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير.
27. الحسكاني، شواهد التنزيل، ج: 1، رقم الحديث: (488).
28. حسن أبو الاشبال الزهيري، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للألكائي.
29. الزمخشري، التفسير الكشاف.
30. شمس الدين الذهبي، (ت:748هـ)، تذكرة الحفاظ.
31. شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (ت: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.
32. الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير
33. شيخ الإسلام بن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين. والحديث أخرجه البخاري (2408)، ومسلم، (1715).
34. عاشور محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، دار النشر التونسية، ط1.
35. عبد الحلیم بن تیمیة الحرانی، (ت:728هـ)، الرد على المنطقيين.
36. عبد الحلیم بن تیمیة الحرانی، مجموع الفتاوى:106/10.

37. عبد الرحمان بن حسن حبنكة الميداني، (ت:1978)، البلاغة العربية، (دمشق: دار القلم، 1416هـ-1996م).
38. عبد الرحمان بن ناصر السعدي، (ت:1376هـ)، تفسير الكريم الرحمان، المحقق: عبد الرحمان بم معلا اللويحق، ط: 1 (طبعة مؤسسة الرسالة:1420هـ-2000م).
39. عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، شرح عقيدة السلف وأصحاب الحديث.
40. عبد الله الهتاري، رشفات من البيان المعجز، موقع اسلام أون لاين، (2023م).
41. عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم.
42. علي بن أحمد الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.
43. الغلابيني، جامع الدروس العربية.
44. فخرالدين الرازي، (ت:604هـ)، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب.
45. مجموعة من العلماء وأساتذة التفسير، التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
46. محمد الأمين بن مختار الشنقيطي، (ت:1393هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:201/1.
47. محمد البقاعي، التحفة السنية بشرح المقدمة الاجرومية، (بيروت: دار الفكر، 1423هـ-2002م).
48. محمد بن أحمد بن جزى الكلبي الغرناطي، (ت: 740هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل:112/1.
49. محمد بن أحمد بن فرج القرطبي، الجامع لأحكام القرآن:171/10.
50. محمد بن ادريس الشافعي، (ت: 767هـ)، الرسالة، ص: 21/20.
51. محمد بن إسماعيل البخاري، (ت: 256هـ)، الجامع الصحيح المختصر، ط:3، ج:4، ص: 1919، (رقم الحديث: 4740).
52. محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح المختصر، كتاب ما جاء في السهو، مجلد: 1/1227.

53. محمد بن جرير الطبري، جامع أحكام القرآن، (طبعة دار التربية و التراث) :70/21.
54. محمد بن جرير الطبري،(ت: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد شاكر، (طبعة مؤسسة الرسالة: 1420هـ-2000م).
55. مرعي بن يوسف بن أحمد الكرمي، دليل الطالبين لكلام النحويين، (الكويت: داره المخطوطات والمكتبات الاسلامية، 1430 هـ -2009م).
56. يحيى بن سلام التميمي البصري القيرواني، (ت: 200هـ)، تفسير يحيى بن سلام.

ثانيا : المذكرات والرسائل

57. هديل أحمد عطية، يوسف النيراوي، د. عبد السلام حمدان، أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن، جامعة غزة، رسالة الماجستير، 2009م.

ثالثا : المجلات والدوريات

58. عبد الرحمان رجو، أثر النحو في فهم النص الشرعي، مجلة رواء، العدد: 1، تاريخ الإصدار: 9 مارس 2020 .
59. فوزي بن عبد الصمد فطاني، شحور مفسدا لا مفسرا، أوراق علمية: 63، (سلف للبحوث والدراسات).

رابعا : المواقع الالكترونية

60. بن باز، موقع الامام بن باز، نور على الدرب، قسم الفتاوى، 13 شوال 1444هـ.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

الصفحة	العنوان
-	شكر وعرافان
-	الاهداء
أ	مقدمة
المبحث الأول	
مفهوم الظاهر في اللغة والاصطلاحات الشرعية	
06	المطلب الأول: مفهوم الظاهر في معجم اللغة
08	المطلب الثاني: مفهوم الظاهر في الاصطلاحات الشرعية
08	الفرع الأول: مصطلح الظاهر في علم النحو
08	الفرع الثاني: مصطلح الظاهر في علم البلاغة
09	الفرع الثالث: مصطلح الظاهر عند علماء أصول الفقه
10	الفرع الرابع: مصطلح الظاهر عند علماء التفسير
المبحث الثاني	
بين الظاهر المجرد والظاهر المراد في القرآن الكريم وضوابطهما	
14	المطلب الأول: مفهوم الظاهر المجرد والظاهر المراد في القرآن الكريم:
16	الفرع الأول: مفهوم الظاهر المجرد في القرآن الكريم.

16	الفرع الثاني: مفهوم الظاهر المراد في القراءان الكرتم
17	المطلب الثاني: أهمية معرفة الظاهر المجرد والظاهر المراد في القرآن الكرتم
21	المطلب الثالث: ضوابط التعامل مع الظاهر المجرد والظاهر المراد في القراءان الكرتم وأسباب الغلط في التفسير
21	الفرع الأول: ضوابط التعامل مع الظاهر المجرد والظاهر المراد في القرآن الكرتم
22	الفرع الثاني: أسباب الغلط في فهم القراءان من خلال الظاهر
المبحث الثالث:	
نماذج عن الظاهر المجرد والظاهر المراد في القرآن الكرتم	
32	المطلب الأول: أمثلة تتعلق بالعقيدة
47	المطلب الثاني: ما تعلق بالأحكام الفقهية
56	المطلب الثالث: ما تعلق بالقصص القرآني والنحو والبلاغة
87	الخاتمة
89	قائمة المصادر والمراجع
94	فهرس المحتويات